الموسيقى والمسرح

مجلة أسبوعية تصدر شهرية مؤقتاً

يصـدرها

دكتور محمود أحمد الحفني

الإدارة : شارع عماد الدين
٧ حارة عماد الدين، عابدين
الإعلانات : يتفق عليها مع الإدارة

الاشتراكات عن سنة واحدة
٦٠ قرشاً صاغاً داخل القطر
١٢٠ قرشاً صاغاً خارج القطر

العدد السادس — (السنة الأولى) يوليه سنة ١٩٤٧ الثمن ٥٠ مليما

فى هذا العدد

كلمة المحرر

عناصر النهضة الموسيقية

(٢)

تناولنا فى العدد السابق الحديث عن عناصر النهضة الموسيقية، وأبنا أنها تتكون من دعائم أربعة هى التأليف والتلحين والأداء والاستماع.

وتحدثنا بعض الشىء عن «الشاعر» باعتباره المكون للعنصر الأول. وهو حديث موجز سنعود إليه مرات ومرات نظراً لأهميته وخطر شأنه. وإذا صلحت المادة كانت الصورة على إثرها صالحة ورقيا

واليوم نتحدث عن «التلحين» فنقول:

إن الملحن هو المصور لأحلام الشاعر، وهو المكمل لفكرته، والمبرز لما يرمى إليه من معنى، وما يهدف إليه من غرض. ولقد تكون القطعة من الشعر

ضعيفة فيكتب لها الخلود لأن ملحنا عبقرياً تلقى هذه القطعة فألقى عليها من روحه قوة وحياة ، وبعث المعنى المتضائل بقوة لحنه القوى فأكسبه وضوحا بعد غموض ، وصفاء بعد إبهام . وكم من قصيدة عامرة ، فتية الألفاظ قوية الجرس ، تشرق معانيها فى سماء ألفاظها إشراق الكواكب السماوية فى القبة الزرقاء ، وكان يكفى أن يقرأها القارىء فيسمع ألحانها فى كلماتها بدون توقيع ، تقع هذه القصيدة ضحية فى يد ملحن دعى فتصاب القصيدة باختناق وتهوى معانيها إلى الضعف والهزال ويلقى عليها اللحن المكبوت رداء قاتماً ونسيجاً أسود يختفى وراءه جمال القصيدة ، كما يختفى البدر الساطع خلف السحب السوداء .

إذن فالملحن يتوقف عليه تفسير ما كتبه الشاعر ، وتصوير ما أراد الناظم . ثم تعلو رسالة الملحن فيضيف قصيدة إلى القصيدة ، تفوق أخراهما الأولى . أى أنه يستطيع بتلحين عبقرى أن يبعث من الخمول أبياتاً ولدت لتفنى فإذا بها أمام هذا اللحن الجديد ، وقد ولدت ميتة فحييت ، وفانية فبقيت ، وهزيلة فقويت ، وذابلة فأينعت وأثمرت .

ها هو « موتسارت » ذلك الموسيقى العبقري الجبار الموهوب ، لم يكن ينتظر الإنتاج العالى من الشعر المسرحى ليصنع منه الأوبرا . ولكنه كان يقع على موضوع تافه ، ونظم غث فيضفى عليه ألواناً براقة ثابتة من ألحان سحرية تجعل من تفاهة هذه المقطوعات فناً جديراً بأن يخلد إلى أزمان وأزمان حتى يفنى الزمان ... ولم يكن عجباً أن يقول « فاجنار » قولته المشهورة - وفاجنار هذا هو ملك الأوبرات ، الشاعر الموسيقى الفيلسوف ، من طليعة أعلام العصر الحديث - قال عن « موتسارت » : استطاع بهذه الأوبرات الخالدة التى خلفها أن يرينا كيف يستطيع الفن الموسيقى أن يقف على قدميه وحده مستقلا فى غير حاجة إلى فن آخر يقف إلى جواره لمعاونته فوق المسرح . أى أن موتسارت استطاع أن يكتشف ويبدع فى ميدان التلحين إلى الحد الذى تصبح فيه الموسيقى غنية بثروتها عن الأصباغ والألوان والعطور وكل ما يقدمه المسرح من إخراج وانتزاع صور وأزياء ، وخلق أشباح وتهاويل .

ذلك شأن الملحن الغنى . نعم الغنى بعلمه واطلاعه ، ذلك الذى تعرف أسرار الموسيقى ، قديمها وحديثها ، شرقيها وغربيها ، ووقف على الكنوز الفنية فى مكامنها وأماكنها ، وتبين فيها اختلاف الأذواق والمشارب ، ووقف على مآثر أعلامها ، ومبلغ إنتاجهم ، ونواحى عبقرياتهم لا لينبش القبور ويسطوا على الأكفان . ولا ليزور على أمته أذواقا ليست فيها وألحانا ليست مستخرجة منها ، وفنا غير موجود فى طبيعتها ولا فى طبيعته هو أيضا .

لانريد أن يتعرف الملحن المصرى نواحى الموسيقات المختلفة ليقوم بعمليه المسخ والتشويه ، وسرقة أنصاف المقطوعات ، وإضافة أنصاف وأرباع أجنبية إليها . وتأليف هيئة أمم فى هيئة أذواق لاتربطها رابطة ولا يجمعها أسلوب . وإنما يجمعها ذهن فارغ عجز عن الابتكار فلجأ إلى الاختيار ، ثم أساءهما جميعا فوضع

بيتهوفن فى جبة الشيخ على محمود ، ومزيج قردى والسيد درويش ، من حيث يريد أن يقنع الجمهور الغير مثقف ثقافة موسيقية بأنه فنان ملحن عبقري أتى بمالم تستطعه الأوائل . كذا . . . .

قلنا إن الملحن يجب أن يحيط بنواحى فنه ليخلص له اسمه على الأقل نقياً من وصمة الادعاء والانتحال ، وليكون فنه بعد ذلك سليما . . . . .

إن قلة الاطلاع ، وفقد الخبرة ، وقلة المحصول كل ذلك مدعاة إلى فساد الذوق وضيق الأفق . أما وفرة المحصول العلمى وسعة الاطلاع فسبب مباشر للإنتاج الصحيح ، وبناء الابتكار على قواعد ثابتة مسلم بها هى نتيجة الاختبار الطويل والدراسة الكاملة . . .

***

(تأليف . . . وتلحين . . . وإخراج ...)

وسبحان من جمع العلم فى كتاب ، والعالم فى إنسان من تراب . . طبيب عيون ، وأسنان، وباطنى ، وجراح ، وصيدلى أيضا ، ومع هذا كله مادخل باب مدرسة ولا مر بعتبة مستشفى . .

نحن فى زمن التخصص . وإذا جاز أن نسمع في التاريخ ببعض نوادر الفلك من فلاسفة اشتغلوا بأكثر من فن فذلك من شواذ الحوادث . وإننا ننكر أن يكون أحد أولئك الأفذاذ قد أحسن فى غير فن واحد وكان مركزه فى غيره قد جاء فى المحل الثانى . ومع ذلك فإن هؤلاء العظماء قضوا حياتهم فى الدراسات والاختبار والاطلاع دون أن يركبوا رءوسهم صلفا وغرورا . . لقد درس بيتهوفن الهارمونى إثنى عشرة مرة على أساتذة بمثل هذا العدد تقريبا - ثم هو بعد ذلك يستطيع أن يقول اليوم أصنع ما أريد ، وإذا اختلفت مع القوانين الفنية الموضوعة والقواعد المصطلح عليها كانت هى المخطئة وأنا على صواب .... هذه كلمة العالم المتمكن ، الحاذق لأسرار فنه ، علم ففهم فقال ، فأجاد فى المقال .

أما أن يكون مخلوقا مرتجلا يسخر بقيمة الشعر فينظم ، وبقيمة الموسيقى فيلحن ، وبقدر التمثيل فيخرج ... ، ويستخف بالأداء فيعزف ويؤدى . . وهو فى كل ذلك أقل من مبتدىء فى أى ناحية من هذه النواحى . . فليس لذلك كله سوى أنه خسر هذه الفنون جميعاً وأساء إلى نفسه وإلى الفن وإلى الناس ... وربما كان ينتظر على يده الخير لفنه ولأمته لو أنه قبل حكم التخصص ، وهو حكم العصر ، وعرف الزمن ...

فإذا سمعت أو قرأت « تأليف وتلحين وإخراج » فضع قبل كل كلمة منها أداة النفى الصريحة ، فيكون صواب ذلك أنه لا تأليف ولا تلحين ولا إخراج . . .

إذا كان الورد من قطيفة كان العطر من الكولونيا ... هذا ما نحذره من الشعر الصناعى الأجوف واللحن المصطنع المتكلف . فنحن نريد ورداً طبيعياً جميلا بألوانه يحمل عطره فى عناصره ... نريد أن يكون الشعر مأخوذاً من طبيعة الحياة ، ونريد أن تكون الألحان صورة مأخوذة من طبيعة الحياة كذلك ، ليتكافأ الشعر والموسيقى أو بالأحرى نريد لحناً فى شعر ، أو شعراً فى لحن ، يمتزج كل منهما بالآخر امتزاج المعنى باللفظ والروح بالجسد . والأريج بالزهر .

***

إن الذين تخصصوا فى التلحين من أعلام الموسيقى وعباقرتها من أمثال بيتهوفن وفردى كانوا على اطلاع واسع بما انتجته قرائح شعراء أممهم ، ثم الشعراء العالميين من غير بلادهم . لا ليكونوا هم شعراء ، بل ليتفهموا أسرار العواطف المختلفة ، واستكمال أذواقهم الفنية . وبذلك استطاعوا أن يتخصصوا فى فنهم فيخرجوا للناس أبدع ما أخرجته العبقرية وأنتجته الموهبة .

ليس بقليل فى القيمة الفنية أو الأدبية أن يقال عن موسيقى أنه ملحن فقط ، أو عازف فقط ، وإنما العيب أن تحاول أن تكون كل شىء فإذا بك أقل من شىء .

***

وإننا فى كل ما تقدم من حديث ، وفى كل ما نتقدم به من نقد لا نضع ، حتى فى خواطرنا ، أسماء معينة نريد الإشارة إليها ، ولو بمجرد الإيماء ... إنما نريد الإصلاح فى ذاته . ونريد بالفن أن تتهيأ له أسباب الكمال والاستقلال حتى يتحقق لنا وجود فن مصرى ناضج نباهى به غيرنا كما نباهى بمصر بين الأمم .

الدكتور محمود أحمد الحفنى

اسحق الموصلى

٧٦٧ — ٨٥٠ م .

هو اسحق بن ابراهيم الموصلى ويكنى ابا محمد . أصله من فارس ومن بيت شريف فى العجم وأمه امرأة من أهل الرى يقال لها شاهك وهى من أصل فارسى كذلك . كان أبوه إبراهيم علما من أعلام الغناء ومعلماً بارعا في هذا الفن، وهو أول من علم الجوارى البيض الغناء . وكان عدا ذلك خطيباً مفوها وكاتباً بارعاً وشاعراً مجيداً وكان موضع رعاية خلفاء الدولة العباسية حتى مات بعد أن خلف لابنه إسحق ثروة علمية وفنية ومالية. وقد قدرت ثروته من المال بما يربى على ٢٤,٠٠٠,٠٠٠ درهما عدا أرزاقه الجارية وهى عشرة آلاف من المال كل شهر، وهذا خلاف ما تخرجه ضياعه وما كان يصله به الخلفاء .

نشأ إسحق فى بيت الخلافة وفى رعاية أبيه الذى أحسن تربيته وثقفه بأنواع العلوم والفنون . وكان إسحق يقول : بقيت دهراً من دهرى أغلس (١) فى كل يوم إلى هشيم فأسمع منه ثم أصير إلى الكسائى أو الفراء أو ابن غزالة فأقرأ عليه جزءاً من القرآن ثم آتى منصوراً زلزلا فيضارب طرفين أو ثلاثة ثم آتى عاتكة بنت شهدة فآخذ منها صوتاً أو صوتين ثم آتى الأصمعى وأبا عبيدة فأناشدهما وأحدثهما فأستفيد منهما ثم أصير إلى أبى فأعلمه ما صنعت ومن لقيت وما أخذت وأتغدى معه ، فإذا كان العشاء رحت إلى أمير المؤمنين الرشيد .

وهكذا تعلم إسحق فى نشأته كثيراً من العلوم وأحاط بنواح كثيرة من المعارف فكان عالما فقيها ، وشاعراً مجيداً ، وأديباً أريباً ، ونديما جم الظرف حلو الشمائل ، وجليسا لطيف المعاشرة رقيق الحاشية لا يستغنى عنه الخلفاء ، وراوية يروى أخبار القدامى والمحدثين . بل وكثيراً ما كان يصحح خطأً من ينسب الأشعار إلى غير قائلها . وكان مغنياً عارفاً بفن الغناء تمام المعرفة وعازفا ماهراً وملحناً بارعاً . فهو إمام هذه الصناعة جميعاً ورأس أعلامها ، يشهد له بذلك الموافق والمفارق . وعلى الرغم من ذلك كله فقد روى أن الغناء كان أصغر علومه وأدنى ما يوسم به وإن كان الغالب عليه وعلى ما كان يحسنه ، فإنه كان له فى سائر علومه نظراء وأكفاء إلا الغناء فلم يكن له فيه نظير . فقد بز فيه من مضى ، وسبق من بقى، وأوضح للناس طريقه ، وأنار لهم سبيله .

كان الرشيد مولعا بإسحق فيكنيه أبا صفوان . وكان المأمون يقول : « لولا ما سبق على ألسنة الناس وما اشتهر من أمر إسحق فى الغناء لوليته القضاء بحضرتى فإنه أولى به وأعف وأصدق وأكثر ديناً وأمانة من هؤلاء القضاة . »

وقد سأل إسحق الموصلى المأمون أن يكون دخوله إليه مع أهل العلم والأدب والرواة لا مع المغنين فإذا أراده للغناء غناه فأجابه المأمون إلى ذلك . وسأله بعد حين الإذن له فى الدخول مع الفقهاء فأذن له . قالوا وقد كان يدخل ويده فى يد قاضى القضاه يحى بن أكثم، بل لقد تغالى إسحق فسأل المأمون بعد ذلك أن يأذن

(١) الغلس بفتحتين ظلمة آخر الليل

له فى الصلاة معه يوم الجمعة فى المقصورة فضحك المأمون وقال « ولا كل ذا يا إسحق ، قد اشتريت منك هذه المسألة بمائة الف درهم ، وأمر له بها » .

وكان إسحق يتحلى بالشجاعة والفروسية ويحب أن ينسب إليهما ويركب الخيل ، وقد اشترك فى بعض الحروب .

ومن الصفات التى اشتهر بها بين معاصريه تجنيه على الخلفاء ودله عليهم بفنه . وأحسب أنه كان إنما يفعل ذلك رفعا لمكانة فنه عن أن تبتذل ولأن كل محجوب محبوب .

ولازمت إسحق روحه المرحة طول حياته فلما تقدمت به السن لم يمنعه الشيب عن ميله للطرب واللهو وفى ذلك يقول :

لاح بالمفرق منك القتير
وذوى غصن الشباب النضير

إلى أن قال :

إن ترى شيباً علانى فإنى
مع ذاك الشيب حلو مزير
قد يفل السيف وهو جزار
ويصول الليث وهو عقير

وإنك لتراه فى هذا الشعر يعارض ويلج فى معارضة أن الشيب يتعارض مع الظرف والكياسة ثم يقارن هذه الحال بحال الأسد الذى يقوى على المصاولة وهو جريح . بل إنه لا يقف عند هذا الحد بل إنه ليتحدى الشباب فيقول « قد يفل السيف وهو جزار » يشير بذلك إلى أن الشاب المكتمل الشباب قد يكون خائراً مثبط الهمة كالسيف المغلول .

وعلى الرغم من أن إسحق الموصلى قد جمع بين الثقافتين العربية والفارسية ، وبرغم أصله الفارسى فقد ظل حياته شديد التعصب لكل ما هو عربى قديم ، بل إن نزعته هذه لم تقف عند حد الموسيقى وألحانها فحسب بل تجلت كذلك فى شعره إذ نراه لم يعمد فى قريضه إطلاقا إلى الأساليب التى استحدثها الشعراء المولدون ولم ينهج نهجهم فى الميل إلى الأوزان اليسيرة القصيرة فهو لم يشبه أبا نواس قط فى مثل قوله :

حامل الهوى تعب يستخفه الطرب :

إنما كان إسحق متأثراً بشعراء الصدر الأول للإسلام فى أساليبه وأوزانه ومعانيه . بل إن ذوقه الموسيقى ليتجلى فى الفاظه خاصة فإنك لن تستطيع أن تستخرج لإسحق لفظة منكرة أو كريهة على السمع فى عامة شعره

وكان إسحق إذا غنى سلب الألباب وسحر العقول ، فى ذلك يقول أمير المؤمنين الواثق بالله « ما غنانى إسحق قط إلا ظننت أنه قد زيد لى فى ملكى . وإن إسحق لنعمة من نعم الملك التى لم يحظ بمثلها ولو أن العمر والنشاط والشباب مما يشترى لا شتريتهن له بشطر ملكى » ، وهل يمكن أن يكون أبلغ من هذا القول فى تكريم الموسيقى وأهلها !!

ومن الصفات التى اتصف بها إسحق ، ولعله ورثها عن أبيه ، أنه كان ضنينا بفنه عن أن يتعلمه أحد ، فبالرغم من شدة كرمه فى المال كان يبخل بالفن إلى حد بعيد . من ذلك ما رواه صاحب الأغانى عن « دمن » وكانت من كبار جوارى إسحق وأحظى من عنده وقد سئلت أى شىء أخذت عن مولاها من الغناء قالت : لا والله ما أخذت أنا عنه ولا واحدة من جواريه صوتاً قط ، إنه كان يبخل بذلك ، وما أخذت منه قط إلا صوتاً واحداً ، وذلك أنه انصرف من دار الخليفة مثخن سكران فدخل إلى البيت فرأى عوداً معلقاً فأخذه بيده وقال لخادمه ياغلام صح لى بدمن فجاءنى الغلام فخرجت فلما بلغت الباب إذا هو مستلق على فراشه والعود فى يده وهو يصنع هذا الصوت ويردده :

ألا ليلك لا يذهب ونيط الطرف بالكوكب
وهذا الصبح لا يأتى ولا يدنو ولا يقرب

وقد تنوق(١) فى هذا الصوت وبلغ فى تجويده حتى استقام له . أما أنا فعلمت أنى إذا دخلت إليه أمسك فوقفت أستمع حتى فرغ منه ثم وضع العود من يده وتذكر أنه طلبنى فقال : منذ كم أنت واقفة ؟ فقلت منذ ابتدأت بالصوت وقد أخذته فنظر إلى نظرة مغضب آسف ثم قال غنيه ، فغنيته حتى استوفيته ، فقال لى وقد فتر وخجل : قد بقيت عليك فيه بقية أنا أصلحها لك . فقلت لست أحتاج إلى إصلاحك إياه ، وقد والله أخذته على رغمك ، فضحك .

وكان إسحق أعلم أهل عصره فى الغناء يعرف غثه من ثمينه وزيفه من صحيحه ، يصلح فيه خطأ المخطئين ولا يرده عن ذلك عظم منزلة المخطىء لأنه يعتقد أن الفن فوق المجاملات الشخصية وأن الحق والصواب لا يعلوهما شىء ، فكانت مطارحات ومنازعات مع إبراهيم بن المهدى وهو أخو الرشيد وعم الأمين والمأمون . وفى ذلك أحاديث طويلة . حدث إسحق قال دعانى المأمون وعنده إبراهيم بن المهدى وفى مجلسه عشرون جارية قد أجلس عشراً عن يمينه وعشراً عن يساره ، فلما دخلت سمعت من الناحية اليسرى خطأ فأنكرته فقال المأمون يا إسحق أتسمع خطأ ؟ فقلت نعم والله ياأمير المؤمنين . فقال لإبراهيم هل تسمع خطأ ؟ فقال لا . فأعاد المأمون على السؤال فقلت بلى والله يا أمير المؤمنين وإنه لفى الجانب الأيسر ، فأعاد إبراهيم سمعه إلى الناحية اليسرى ، ثم قال : لا والله يا أمير المؤمنين ما فى هذه الناحية خطأ . فقلت ياأمير المؤمنين مر الجوارى اللواتى على اليمين ، يمسكن ، فأمرهن فأمسكن ، فقلت لإبراهيم هل تسمع خطأ ؟ فتسمع ثم قال ما ههنا خطأ . فقلت يا أمير المؤمنين يمسكن وتضرب الثامنة ، فأمسكن وضربت الثامنة ، فعرف إبراهيم الخطأ وقال نعم ياأمير المؤمنين ههنا خطأ . فقال المأمون عند ذلك لإبراهيم : يا إبراهيم لا تمار إسحق بعدها ، فإن رجلا فهم الخطأ بين ثمانين وتراً وعشرين حلقا لجدير أن لا تماريه . فقال إبراهيم صدقت يا أمير المؤمنين .

وروى بعض أصحاب السلطان ببغداد قال سمعت إسحق الموصلى يقول : دخلت مع المأمون يوما وعقيد المغنى يغنيه وغيره يضرب عليه فقال المأمون يا إسحق كيف تسمع مغنينا هذا ؟ فقلت . هل سأل أمير المؤمنين عن هذا غيرى ؟ قال المأمون نعم سألت عمى إبراهيم ابن المهدى فوصفه وقرظه واستحسنه . فقلت ياأمير المؤمنين أدام الله سرورك وأطاب عيشك إن الناس قد أكثروا فى أمرى حتى نسبتنى فرقة إلى التزيد فى علمى . فقال المأمون لى لا يمنعك ذلك من قول الحق إذا لزمك . فقلت لعقيد أردد الصوت فردده وتحفظ فيه وضرب ضاربه عليه ، فقلت لإبراهيم بن المهدى كيف رأيته ؟ فقال ما رأيت شيئا يكره . فأقبلت على عقيد وقلت له فى أى طريقة هذا الصوت الذى غنيته ؟ قال فى الرمل . فقلت للضارب فى أى طريقة ضربته أنت ؟ قال فى الهزج الثقيل . فقلت ياأمير المؤمنين ماذا أقول فى صوت يغنى مغنيه رملا ويضرب ضاربه هزجا ، وليس صحيحا فى إيقاعه الذى ضرب عليه ؟ فتعجب المأمون من ذهاب ذلك على كل من حضر وكنانى فى ذلك اليوم مرتين .

وتناظر المغنون يوماً عند الواثق فذكروا الضراب وحذقهم فقدم إسحق زلزلا على ملاحظ ، وكانت لملاحظ فى ذلك الرياسة على جميعهم . فقال له الواثق هذا حيف منك . فقال إسحق ياأمير المؤمنين اجمع بينهما وامتحنهما فإن الأمر سينكشف لك فيهما ، فأمر بهما فأحضرا . فقال له إسحق إن للضراب أصواتا معروفة أفأمتحنهما بشىء منها ؟ قال أجل إفعل . فسمى إسحق

(١) أى تأنق

ثلاثة أصوات فضربا واحداً منها فتقدم زازل وقصر عنه ملاحظ . فعجب الواثق من كشفه عما ادعاه فى مجلس واحد . فقال ملاحظ : ما باله يا أمير المؤمنين يحيلك على الناس ولم لا يضرب هو ؟ فقال إسحق : يا أمير المؤمنين إنه لم يكن أحد فى زمانى أضرب منى إلا أنكم اعفيتمونى فتخليت عنه ، على أن معى بقية لا يتعلق بها أحد من هذه الطبقة . ثم قال يا ملاحظ شوش عودك وهاته . ففعل ملاحظ ذلك فأخذ إسحق العود فجسه حتى عرف مواقعه فغنى عليه . ثم قال ياملاحظ غن ما شئت فغنى ملاحظ صوتا ضرب عليه إسحق بذلك العود الفاسد التسوية فلم يخرجه عن لحنه فى موضع واحد حتى استوفاه ويده تصعد وتنحدر على الدساتين . فقال له الواثق : لا والله ما رأيت مثلك ولا سمعت به .

ولم تكن صناعة إسحق فى الغناء السهلة المأخذ فقد حدث عجيف بن عنبسة قال : كنت عند أمير المؤمنين المعتصم ، وكان إسحق الموصلى يغنيه:

قـــل لمن صد عاتبا
ونـــأى عنك جانبا
قـــد بلغت الذى أرد
ت وإن كنت لاعبـــا

فأمر المعتصم بإعادته ثلاثا . فقال إبرهيم المهدى و ا ـحـدت هدا الصوت ياأمير المؤمنين أفنأخذه ؟ فا . نعم حذوه فقد عجبنى . فاجتمع جماعة المغنين مخارق وعلويه وعمر بن بانة ومحمد بن الحرث بن بشخير وغيرهم فأمر المعتصم إسحق أن يلقيه عليهم حتى يأخذوه قال عجيف فعددت خمسين مرة قد أعاده فيها عليهم وهم يظنون أنهم قد أخذوه ، ولم يكونوا أخذوه لكثرة زوائده فيه وقد قال ابن بشخير فى ذلك ومن يقدر أن يأخذ من ذلك الشيطان شيئا .

ومن العجيب أن أسحق الموصلى لم يكن أحسن المغنين صوتا فى عصره وإنما كان تفوقه عليهم بحسن صناعته وحذقه لفنه . روى محمد بن المكى المرتجل قال قلت لزرزور الكبير كيف كان إسحق يتفوق عليكم عند الخلفاء ، وأنت وابراهيم بن المهدى ومخارق أطيب أصواتا وأحسن نغمة ؟ قال : كنا والله يابنى نحضر معه فنجتهد فى الغناء ونقيم الوهج فيه وتقبل علينا الخلفاء حتى نطمع فى إسحق ، ونظن أنا قد غلبناه ، فإذا غنى عمل فى غنائه أشياء من مداراته وحذقه ولطفه حتى يسقطنا كلنا ، ويقبل عليه الخليفة دوننا ، ويصغى إليه ، ويجيزه ، ونرى أنفسنا اضطرارا دونه .

وقد روى أن الواثق أمر إسحق أن يصنع لحنا فى شعر كان قد لحنه الواثق وغنى فيه غناء أعجبه . فغنى فيه إسحق فلما سمعه الواثق قال أفسد علينا إسحق ما كنا أعجبنا به من غنائنا .

وكان إسحق الموصلى عالما بأصول الموسيقى وقواعدها فهو الذى صحح أجناس الغناء وطرائقه وميزه تمييزاً لم يقدر عليه أحد قبله . وكان عالما بالتدوين الموسيقى فقد كتب إلى ابرهيم بن المهدى بجنس صوت صنعه وأصبعه ومجراه وأجزاء لحنه فغناه إبرهيم من غير أن يسمعه . وقد صنف إسحق من الكتب ما كانت مرجعا لا يستغنى عنه كل من ألف فى هذه الصناعة .

وكانت وفاته فى شهر رمضان سنة خمسين وثلاثين ومائتين من الهجرة « سنة ٨٥٠ م » ولما نعى إلى المتوكل غمه وحزن عليه وقال : ذهب صدر عظيم من جمال الملك وبهائه وزينته . ورثاه كثير من الشعراء بقصائد طويلة عامرة نفيسة .

فن تربيـــــــة الصوت

للأستاذ قسطندى خورى

(١)

تفضل زميلنا العالم الموسيقى المربى الأستاذ قسطندى بموافاة المجلة بحلقة متصلة من المقالات حول فن تربية الصوت ، وهذه ناحية طريفة ، لم تكن مطروقة فى التأليف العربى ، وذلك مما يزيد فى أهميتها ويضاعف من قيمتها .

وإلى حضرات القراء المقال الأول من هذه السلسلة الممتعة :

هذه هى الحلقة الأولى من سلسلة أبحاث تمتد إلى غاية ذات أهمية كبرى فى فن الغناء ، ألا وهى توحيد المبادىء الأساسية لإصدار الصوت وتقريرها ـ نظرية كانت هذه المبادىء أو عملية ـ لوضع حد للتعاليم العقيمة والاصطلاحات المضللة ، ثم هى عرض الحقائق المختصة بالصوت وبتربية الصوت ، تلك الحقائق التى لا تزال إلى يومنا هذا غير مفهومة تمام الفهم حتى يستفيد منها جميع المغنين ومدربى الأصوات ويتقنوا هـذا الفن الجميل ويصـلوا به إلى أعلى درجات الكمال .

إن ثورة الأضاليل الناشئة عن الجهل بالحقائق الهامة آخذة بالازدياد فى مضمار تربية الصوت ، وهى على ما بها من اندفاع طائش ـ تمعن فى سيرها هدماً وقلباً وتحطيماً وتهدد البقية الباقية بالكارثة الكبرى والعاقبة الوخيمة

ولذا فإن صيانة الأصوات وتحسينها بالأساليب الفنية الصحيحة يتوقف إجمالا على معرفة أدق للسبب والنتيجة فى الظواهر الصوتية ، كما وأن ضمان نجاحها المستمر عن طريق المناهج الصحيحة يتوقف على فهم تلك المبادىء التى هى الأساس الصحيح الوطيد .

وبما أن العلم معرفة والفن عمل ، فمن الواضح إذن أن تعمل المعرفة على مكافحة الانحطاط ، وتساعد على ترقية الفن

إن فن إصدار الصوت قد كان دائماً موضع تناقض فى الآراء لأنه لم يرتكز قط على أساس علمى صحيح فقد كانت عصور فن الغناء ، الزاهرة منها والمنحطة ، يتوقف حظها فى الازدهار والانحطاط على مبلغ عدد الأذكياء من المغنين ذوى المواهب الصوتية الذين كانوا يغنون ويعلمون الغناء بالفطرة والبداهة ، من طريق الغريزة

يجمل بنا الآن أن نفهم بأن المعرفة قد تأتى إلينا عن طرق ثلاثة منفصلة وهى : الغريزة والإدراك والإلهام . فالأولى تعزى إلى البداهة والحس والشعور . والطريق الثانى مرجعه التبصر فى الحقائق وعلاقتها بالموضوع . أما الثالث فيفهمه ويناله أولئك الذين اصطفتهم العناية وحدهم ليكونوا ملهمين

إن الغريزة فى مصطلح علم النفس قديماً هى سجية العقل الباطن .

فإذا ما أدركنا قوى العقل الواعى وجب أن نذكر أن الإدراك - وهو خاصية العقل الواعى - يقتضى أن يجرى نفوذه القطعى على جميع شؤون هـذا العالم . أى بالتفكير الاستدلالى ، أو بكلمة أوضح ، من الخصوصيات إلى العموميات . هذه هى المزية الخاصة للعقل الواعى .

أما العقل الباطن فهو مركز الشعور الذاكرة غير الفانية . ويعقل تماماً بالاستنتاج من العموميات الى الخصوصيات وليس بالاستنتاج مطلقاً .

وبما أن العقل الباطن يتعقل عن طريق الإيعاز ، خطأ كان أم صواباً ، فهو لا يكون من ذاته عاملا يعتمد عليه .

فيتضح من هذا كله أن التفكير الاستدلالى للعقل الواعى يجب أن يستعمل لتقرير فن الصوت ، وأن معرفة عدد وافر من الحقائق هى من أوليات عناصر المعرفة العلمية . وأن إحدى هذه الحقائق النفسية التى لا يمكن إنكارها هى أنه عند الغناء العام يهمل ويتناسى كل شىء ماعدا الكلام .

ويقتضى ذلك أن تتجه الأعمال الطبيعية للعضلات « الخاضعة للإرادة » إلى نشاط آلى « أوتوماتيكى » قائم على عادات صحيحة ، أما العضلات غير الاختيارية فإنها تقوم بنشاط طبيعى .

إن العقل الباطن إذا اغتصب مركز القيادة « المستقلة عن الإرادة » فى الغناء كان ذلك خطراً على الفنان فى أغلب الأحيان سيما إذا كان هذا العقل واقعاً تحت تأثير إيعاز خاطىء .

إن المواهب الخاصة للعقل الباطن ، أعنى مركز الشعور ، تفسر أسرار تصرف المغنين أصحاب المواهب السامية الذين يعملون تحت تأثير دافع قوى وإيعاز مناسب ، لأنهم يأتون بالمعجزات ، ومع ذلك ، فلو سئلوا عن كيفية عملهم هـذا لعجزوا عن الشرح لأنهم لا يدرون . وإذا ما حاولوا تفسير ذلك خانهم جهلهم المطبق بالسبب والنتيجة الحقيقيين . وقد تكون تفاسيرهم - بالأسف - سخيفة فى أكثر الأحيان .

هؤلاء المغنون بالفطرة هم على الأخص أولئك الذين ينكرون على العلم أمر تدخله فى الفن . فهم يغنون ويقدمون فنهم عن بداهة وليس لهم فهم معقول فى القوانين التى تتملك جهودهم الصوتية .

وإليك مثلا : فنان واسع الشهرة انصرف عن مضمار الغناء الى التعليم ، فجعل يعلم تلاميذه رفع اللهاة (اللغلوغ الذى فى أسفل سقف الحلق) ، بقصد الحصول على رنين إضافى فى أصواتهم .

وهذا فقط مثل من الأمثلة العديدة للجهل الذى عليه كثيرون من كبار المغنين الذى يصادف وجودهم بين زمرة معلمى الصوت . والبعض الآخر يعلمون بطريقة المحاكاة والتقليد

وقد يكون لمثل هذه الأسباب الأخيرة بعض القيمة وإنما تجرى إذ ذاك ، فى دائرة محدودة جداً . ثم أن الطلبة القادرين على التقليد قليلون جداً نسبياً فإذا أمكنهم فعلا أن يقلدوا ـــ وقد يتقنون التقليد دون وعى منهم ـــ فهم يعجزون عن التفسير والتعليل لأنه ليس لديهم ما يفسرون .

ومهما يكن للتقليد من تأثير جدى ، ففى مثل هذه الحالات يقوم عندهم عادة على تفسيرات خاطئة يتوهمونها حقائق . فهم يغترون بالظواهر ، وعندما تتمثل فى أصوات طلبتهم صعوبة صوتية ما ، فهم لا يعرفون منشأ العلة ولا طريقة الوصول إلى كنهها ووسائل معالجتها فيجربون هذا وذاك بطريقة الاستعراض آملين أن يعثروا على حل للمشكل الصوتى

ولهذا يرى من الضرورى جداً لصالح فن الصوت أن يلم المغنون الذين يقومون بتلقين فن الصوت إلماماً تاماً بموضوع هذا الفن وخصوصاً لأنهم بتلك الثقة التى يتظاهرون بها عند إلقاء معلوماتهم الخاصة قد يسببون أضراراً فنية بالغة بهذا التوجيه الخاطىء .

فـــــوضى الاغاني

أو حموده ياني . . .

وهكذا ترددت الأصداء فى هذه الأيام، وتجاوبت أمواج الأثير تحمل إلى الشعب المصرى بشرى نشيده الجديد . . فمنذ حين ينتظر الشعب ويرتقب ، ويبتهل إلى الله ويحتسب . فطالما عيرنا الأصدقاء والأعداء بخلو حياتنا من نشيد يبعث الأمل قوياً ، ويوقد جذوة الإيمان فى ضمير الشعب ، وينمى أصالة الجندية ، ينظر إلينا فيها من فى المشرق ومن فى المغرب . ويحب أن يسمع صوتنا ليعرف مبلغ استعدادنا الروحى والأدبى والمادى . ولا أصدق فى تصويرنا من النشيد ولا أبلغ فى التدليل على كفايتنا من الأغانى . . .

أتعرفون إذن ما هو النشيد القومى الذى يتغنى به من فى الريف ومن فى الصعيد ؟ إنه ليس نشيد البطولة والميدان ولكنه « حموده ياني .. » .

أهذا هو نشيدكم ياقوم ؟ !! .. أهذا مبلغ ماتوقظون به الناس فى وطنيتهم وسمو مشاعرهم !! .. أم هى الغرائز الدنيئة فى أحط مواطنها وأسفل دركاتها !! . . .

شاعت هذه الأغنية، كغيرها مع الأسف. وستأخذ حدتها ثم تسقط مترنحة صريعة . . . وقد تنبهت الضمائر إلى ما تضمنت من المعانى المخزية التى تصم جبين الغناء القومى بوصمة مخجلة أليمة فى وقت واحد .

أهكذا يتجر الناس بالغرائز !! .. أهكذا تستغل العواطف المريضة والأعصاب الواهنة الضعيفة ليتحول أمراض بعض القلوب إلى نقود فى بعض الجيوب . . .

لست أدرى ما هذه القيامة وما هذه الضجة حول هذه الكلمات الفارغة الجوفاء التى قيل عنها إنها أغنية أو منولوج . وقيل إن وزارة صادرتها ووزارة سمحت بها .. وكأن وزاراتنا أصبحت وليس لها من عمل ولا قضية تشغلها أكثر من حموده ياني . . . .

قد يكون للأغانى مهازل ، وقد يكون لها مضحكات تصويرية نحتاج إليها فى الترفيه عن أنفسنا ، وفى تعرف ألوان من الأوساط الشعبية المختلفة . وقد تكون تلك الأغنيات الساخرة علاجاً لمرض اجتماعى يراد به أن يضحك الشعب حين يرى علته وموضع الداء فيه فيتخلص من آفاته الأدبية بطريقة لا تكلفه تجرع دواء مرير . . .

فالكوميديات الراقية كانت فى جميع أطوارها تركيباً فنياً لدواء منقذ حاسم يخلص حياة الشعب من الخضوع لعادات وتقاليد تغل جناحه عن الطيران والتحليق . هذه الكوميديات كانت أنفع بكثير من النصائح المرة الثقيلة . وكانت فى نفس الوقت سبباً فى اكتساب عوائد جديدة ترفع المستوى العام وتسمو بالمشاعر والأفكار معاً . . .

أتستطيع أن تحدثنى أيها القارىء فى صراحة فى أي لون من تلك الألوان تقع مثل هذه الأغنية التى أصبحت تثير الخجل أكثر مما تثير المعانى الرخيصة فى الحياة الإنسانية . . . .

أهذه جناياتك أيها الموسيقى ! ! لقد خلقت وأنت فطرة للجمال ، وريشة مصورة لأجمل مناظر الكون فكان مثلك كمثل الخريدة الحسناء التى يغرى بها جمالها فيجعلها فى نطاق شائك حتى يساء إليها وإلى محاسنها معاً . . . .

نسمع من الشعوب أغانيها الوطنية ، وندير جهاز الإذاعة فنسمع أناشيد البطولة تخترق الأجواء وتتخطى أمواج البحر والهواء ، تحمل النار المستعرة من إيمان الشعوب . مصورة فى ألحان قوية جبارة ، تغزو الممالك النائية فإذا التفتنا إلى مكانتنا من زعامة الشرق والغرب رأينا هنالك بعض الحلقات الدعية تسيطر على الجو الفنى والأدبى فتسممه وتسيء إلى الوطن البرىء وإلى الجمهور البرىء . . .

✡✡✡

كانت الآثار القديمة السلفية تتحدث بأنه سيأتى على الناس عصر تنقلب فيه الأوضاع ، وتصبح فيه المرأة رجلا والرجل امرأة ... أما كيف يحدث هذا فقد كنا لاندرى . . . .

وما رأيك الآن أيها القارىء وقد أصبحنا ندرى . سمعنا الفتاة المسترجلة تتغنى لحن الفتوات بين العطوف والحارات فتقول : فتح يا بنى فتح شوف مين بيكلمك أنا واد جـــدع . !! ثم ما لبثنا أن سمعنا الرجل يقول أنا خايفه موت . . أنا سامعه صوت . . . . ! ! وكان بين الذكر والأنثى رجل يقول .. وله ياوله .. إرحمنى ياوله . .

ياقوم إن القلم يرتعد فرقا عندما يمر على الصحيفة بهذه السطور ... وما كان يود أن يخط منها حرفا واحداً . . . ولكن هذا القلم إنما يخط ما يحكى التاريخ ، فاصبغوا الحوادث بغير هذه الأصباغ المشينة ودعونا نبدأ تاريخاً مجيداً للفن والغناء ...

أيها الفنانون ! إذا كان فى عزيمتكم وجهة الخير والإصلاح لأنفسكم وأمتكم فإنكم قادرون على خير كثير ، وإنكم مستطيعون أن تخلقوا فنا كاملا نبيلا ، تسمو معه أشخاصكم إلى مكان التجلة والتكريم ..

لقد استطاع بعضكم أن يضع إطاراً جميلا براقا حول فكرة مبتذلة ... وهذا الإطار الجميل كان إما من اللحن الفاتن أو الأداء المحبوب ...

وإنا انربأ بسمعتكم أن تحدد مقدرتكم الفنية على الإجادة فى تغطية الشرور باللون البراق والطلاء البهيج نريدكم أن تقدروا على إظهار المواهب ، وإعلاء قيمة الفن فى قيمة الفضائل الاجتماعية والمفاخر القومية

كونوا مضحكين أومبكين ، جادين أو هازلين ، فإن فننا الموسيقى العظيم لن يتخلى عنكم فى الحالين . . وراقبوا ضمائركم فى هذا الجمهور الذى تتعللون به وتنسبون إليه كل زلة فى الفن وكل عثرة فى الغناء . . . . . .

إن الجمهور لم يطلب إليكم أن تقدموا إليه أسف أنواع الفن ، بل أنتم الذين تقدمون إليه ماتقدمون من غذاء ثم هو يتجاوب معكم ويحفظ عنكم ويردد لكم ماتقولون وما تنشدون

أليس فى مقدرتكم ان تسموا بهذا الجمهور المسكين !! ألا يكفيه الفقر فى المال ، والفقر فى العلم ، والفقر فى الصحة ، فيضاف إليه فقر فى رابع !!...

أيها الفنانون ، إننا اليوم نعد أنفسنا الطليعة فى قافلة الشرق كله نحو استعادة مجدنا القديم . . . . . وفى القافلة كل شىء من أدوات العلوم والفنون وسائر أنواع الإنتاج . . . . وكل ناحية فى مصر تحاول أن تكون الأحسن فى الأحسن ، فاحذروا أن تكونوا فى القافلة موضع القيل والقال . . . ولا تتركوا الناس يقولون عنكم إنكم انفردتم باستغلال الفن فى طريق غير مرغوب فيه

ورجاؤنا أن يطالعنا الغد بفجر جديد ، وتتحقق فيه الأمانى ، بزوال فوضى الأغانى ..

المقابـــلة الخامســـة

الأستاذ محمد صلاح الدين

مفتش الموسيقى بوزارة المعارف

لقيني متهللا وبادرني بقوله :

— لقد قابلته يا أستاذ

— من ؟

— وناقشته فلم يدر كيف يناقشني وحسبني وأنا أشرح له الأجناس ذات أرباع النغمات وغيرها ووجه التشابه وطرق التحليل والمقارنة بين السلم الماجير ومقام الراست ، حسبني أتكلم معه بلغة غير العربية

— من هذا الذى تتحدث عنه ؟

— لقد كنت مغروراً فيه كغيرى ... أقسم لك يا أستاذ أنه لا يدرى ...

— مالنا نحن وما يدريه أو ما لا يدريه صاحبك دع الخلق للخالق ولا تمن عليهم بعلمك وجهلهم واطلب الهداية والمعرفة للجميع .. ودع الغرور ولا تحسبن نفسك شيئاً الآن ، حتى تتسلح بسلاح العلم والفن فتقوى على الظهور فى الميدان .

— فقط كنت أريد أن أخبرك عن شىء أهم من هذا الذى أحاول الاستمرار فيه

— إذا صممت على ذكر هذا الأهم فلا مانع عندى

— كنت أريد أن أقول ، إن ذلك الشخص الذى قابلنى قد أضاع وقتى فى المناقشة ولم يترك لى وقتاً للمذاكرة فأرجو أن لا تقسو علىّ فى الأسئلة

— ها ها ... وصلنا للهدف .. ولكن يا صديقى ان يعفيك ذلك من الإجابة على ما أوجهه إليك من الأسئلة فأحسبها بسيطة بالنسبة لعلمك الفياض

— فضلة خيرك يا أستاذ

— ما الفرق بين جنس الراست وجنس العجم ؟

— شىء بسيط ، الدرجة الثالثة من جنس الراست تنقص ١/٤ صوت عن جنس العجم

— ما الفرق إذن بين مقام الراست ومقام العجم ؟

— الفرق أن كل من الدرجتين الثالثة والسابعة فى مقام الراست تنقص ١/٤ صوت عن مثيلتها فى مقام العجم (أو الماجير)

— ماشاء الله ... ما شاء الله ...

— العفو يا أستاذ ...

— وما الذى تعرفه عن جنس البياتى ؟

— آه جنس البياتى هذا لم أتشرف بمعرفته بعد

— إذن فلتعلم إن جنس البياتى ليس غريباً عنك ... فهل تعرف جنس المينور أو الصغير أو ما سبق أن عرفناه باسم نهاوند ؟

ـــ أعرف هذا النهاوند (أو المينور) ولكنى لا أعرف ما صلته بالبياتى

ـــ إذا أنقصت الدرجة الثانية من الجنس الصغير (نهاوند) ١/٤ صوت أصبح هو الجنس البياتى

ـــ جميل . . جميل . . . إذن تكون أبعاده بأرباع الأصوات (من اليسار الى اليمين)

(٤-٣-٣) كما يأتى :

أى بين الدرجة الأولى والثانية = ٣ أرباع صوت

وبين « الثانية والثالثة = ٣ « «

« « الثالثة والرابعة = ٤ « «

ـــ تماماً ...

ـــ انتظر يا أستاذ إنى ألاحظ شيئاً غريباً

ـــ ماذا ؟ !

ـــ ألا ترى معى أن أبعاد جنس البياتى عكسية لأبعاد جنس الراست ؟

ـــ تماما ... « عينى باردة عليك » وهل لاحظت قبل ذلك شيئاً مثل هذا فى الأجناس التى أخذتها والتى لا تدخلها أرباع النغمات ؟

ـــ صبراً يا أستاذى .. مهلا حتى أتذكر .. آه .. طبعا طبعاً ... وكيف لم ألاحظ ذلك ، فقط نسيت أن أذكره لك

ـــ ما هذا الشيء ؟

ـــ معذرة يا أستاذى فلقد نسيت هذا الذى نسيت أن أذكره لك

ـــ ألم تلاحظ أن أبعاد جنس الكرد هى عكسية لأبعاد جنس ..

ـــ (مقاطعاً) ... العجم .. تذكرت الآن . ما أكثر نسيان العلماء يا أستاذ

ـــ تماما ، فانك إذا قرأت أبعاد جنس العجم من اليمين الى اليسار (وليس من اليسار الى اليمين) لوجدت أنها أبعاد جنس الكرد نفسها

وإليك بيان ذلك :

جنس العجم تكون أبعاده = ٢ - ٤ - ٤

جنس الكرد = ٤ - ٤ - ٢

(تقرأ الأبعاد عادة من اليسار إلى اليمين)

ـــ فلنعد الآن إلى ما سبق أن أخذناه فى المقابلة السابقة . فهل تذكر لى ما عرفته عن مقام الراست وطريقة مشتقاته من سلم دو ماجير ؟

ـــ عرفت أن مقام الراست مشتق من سلم دو الكبير وذلك بإنقاص درجتيه الثالثة والسابعة ١/٤ صوت (أى مى b - سى d) فهل أفهم من ذلك أن السلم الصغير (المينور) فى الموسيقى الغربية يمكن أن نشتق منه سلماً عربياً آخر

ـــ تماماً . فمثلا سلم رى مينور وطبعاً تعرفه وتعرف دليل مقامه يمكنك أن تشتق منه سلماً عربياً يسمى مقام البياتى

ـــ مقام البياتى . . كلام تمام . . إنه يعطى نفس طابع لحن المينور

ـــ تمهل !! إنه لا يعطى لون الطابع البياتى إلا إذا نقصت الدرجة الثانية لسلم رى مينور ربع صوت

ـــ معنى ذلك إنى إذا كتبت سلم رى مينور وانقصت الثالثة ١/٤ صوت فأصبحت (مى d) كان هذا السلم (سلم بياتى)

ـــ ينقصك شيء واحد لتجعله (بياتى) وهذا الشيء هو أن لا تكتب حساس سلم رى مينور

ـــ أفهم من ذلك أن مقام البياتى هو سلم رى مينور

بدون حساس تنقص درجته الثانية ربع صوت

- ما هذا النبوغ يا بني !

- العفو يا أستاذ ولكن عندي سؤال (مكسوف أقوله)

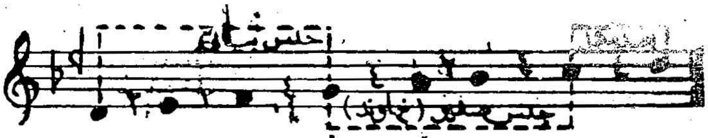
- تفضل فأنت معين لا ينضب من الأسئلة

- هل تسمح بتدوين هذا المقام الجديد ألا وهو مقام البياتي .

إليك تدوين مقام البياتي على أن تذكر لي ملاحظاتك على هذا التدوين .

- بكل سرور .

- إليك إذن سلم البياتي :



- أما عن ملاحظاتي عن تدوين مقام البياتي بهذا الشكل فأرى أن معلوماتك ليست في حاجة إلى أن أقوم أنا بشرح هذه الملاحظات .. وفي الوقت نفسه فليس عندي أي مانع من سماع هذا الشرح .

- فكرة لا بأس بها !! .. إسمع يا صديقي .

- ألا ترى أن هذا السلم هو سلم ري مينور .

- وأنه بدون حساس (أي بدون دو #) .

- وقد انقصت درجته الثانية ٤ / ١ صوت فأصبحت (مي d) ثم وضعت هذه العلامة الجديدة بجوار علامة السي بيمول الموجودة أصلا في دليل مقام ري مينور .

- حسناً جداً بقي لدي سؤال واحد لا بأس من عرضه الآن في مثل هذا الجو الحار .

- تفضل لعله سؤال مرطب .

- عرفت الآن أربعة من السلالم الموسيقية وهي :-

١ - السلم الكبير (ماجير) .

٢ - « الصغير (مينور) .

٣ - سلم الراست .

٤ - « البياتي .

فهل لسيدي الأستاذ أن يطمئن قلبي على مدى أهمية هذه السلالم في أصول التلحين وعلاقة كل من هذه المقامات بالآخر ؟

- إنه سؤال لا بأس به بل مما يدل على مدى تفكيرك في البحث والتنقيب حول كل ما يهم فنك وما تريد معرفته من أصول التلحين . . .

ولكي يسهل عليك فهم ذلك أريد أن أسألك بعض الأسئلة الهامة فيما أخذته ومبلغ فهمك هذه السلالم

- إذا كان الأمر كذلك فأنا متنازل عن هذا السؤال إلى أن يتم استعدادي وإلا أكون كمن (حفر بئراً لأخيه فوقع فيه) .

- إذاً إلى اللقاء يا صديقي وحاذر ان يقابلك من قابلك في المرة السابقة فلن أغتفر لك تقصيرك .

- لا يلدغ العالم من جاهل مرتين ،

- إلى اللقاء السعيد أن شاء الله . . . . ؟

الأناشيد المدرسية

بحث وتحليل

الأستاذ محمد علي سليمان

أخرجت مكتبة علم النفس والتربية كتاب تدريس اللغة العربية بالمدرسة النموذجية بحدائق القبة للأستاذ محمد احمد المرشدى المدرس الأول بالنموذجية .

ولما كان لهذه المدرسة مكانة تربوية خاصة انفردت بها منذ بداية إنشائها ، ولها نشاط موسيقى يبز سائر المعاهد الأخرى ، والموسيقى تعتبر فيها مادة متغلغلة إلى كل ما يدرس فى مناهجها ، فقدحرصت على تتبع مايسير عليه القائمون بشأن هذه المدرسة ، حتى قرأت أخيراً الكتاب الذى أشرت إليه آنفا .

والذى أعلمه أن أساتذة المدرسة النموذجية لا يختارون لها جزافا أو برمية من غير رام فكلهم من خيرة شباب المعلمين الذين أبدوا فى سنى دراساتهم بمعاهد تخرج المعلمين نشاطا فريداً فى النواحى التربوية علاوة على التفوق العقلى والعلمى .

وبطبيعة الحال كان الأستاذ المرشدى أحد هؤلاء . كانت طريقته فى النقد جريئة بريئة، فى أسلوب ينم عن سعة اطلاع وعمق معرفة. وأهم ما لفت نظرى فى كتابه فصله الثالث وهو الذى يتحدث فيه عن القصص والأناشيد والتمثيل . ولما كانت هذه النواحى تتصل بالجهود الموسيقية اتصالا وثيقا فقد كنت حريصاً على أن أقدم للقراء بعض ما جاء فى هذا الفصل معلقا عليه بشىء من الشرح والتفسير قد يهم المشتغلين بالتعليم الموسيقى . .

يقول المؤلف « أما الأناشيد الملحنة فهى لون جميل من ألوان الأدب يقدم للطفل فى أسعد وقت من أوقات حياته ، يتذوقه وهو يتغنى به على نغمات الموسيقى حريصا أشد الحرص على جودة النطق وحسن الأداء ، وعدم الخروج على المجموعة فى مسايرة اللحن الموسيقى. والميل للأناشيد ينشأ من اشتراك الطفل فى مجموعة يحدث عنها أثر ضخم له فيه يد . وينشأ كذلك من أنه وسيلة طيبة للخجلين الذين لا يسهل عليهم النطق منفردين ، ولكنهم ينطقون ويتدربون ويصيحون وهم داخل مجموعة . كذلك ينشأ من أن أخطاء النطق الفردى تغرق فى وسط المجموعة الكبيرة . وأثر الأناشيد الملحنة في تجويد النطق وإخراج الحروف من مخارجها واضح ملموس .وما أكثر مارأيت مدرس الموسيقى يوقف العزف ويلتفت وراءه ينبه هذا التلميذ إلى أن الميم لم تخرج من الشفتين ، ويجب أن تخرج من بينهما ، وينبه ذاك إلى أن العين لم تخرج من الحلق، وحقها أن تخرج منه وهلم جرا . فالأطفال فى هذه الحصة يدرسون « علم التجويد » ولكن بأسلوب يلائمهم ويسرهم . ثم يعقب المؤلف بعد ذلك فيقول :

« غير إن الأناشيد التى تختار فى المدارس قليل منها ما يتصل بالمناسبات ، أو يسد حاجة من حاجات الأطفال . وتكاد تتكرر فى كل عام . وفوق هذا فإن ألفاظها وتراكيبها ليست عادة مما يلائم الأطفال ، وإن

لامتهم أوزانها وقوافيها . وقد هيـــأت طريقة المشروعات بالمدرسة النموذجية كثيراً من الفرص لمعلمى اللغه استغلوهـــا فى تأليف أناشيد تتبع فكرتها من مشروعات التلاميذ ورحلاتهم وحفلاتهم فتملأ فراغا يشعرون بأنهم فى أشد الحاجة إلى ملئه . وكذلك يجب أن تنتهز المناسبات الأخرى الهامـــة ليحفظ التلاميذ فيها الأناشيد، كمناسبات عيد الفطر وعيد الأضحى وشم النسيم ، وعيد الجلوس الملكى ووفاء النيل ، وعيد الجهاد وعيد الاستقلال ، والمولد النبوى والهجرة وذكرى سعد زغلول ومصطفى كامل ومحمد فريد وغيرهم من أبطال الوطنية . ولكل مدرسة بعد هذا مناسباتها الخاصة من رحلات وحفلات وتمثيليات . وكل هذه مواضيع لأناشيد حية . ويجب أن يقتصر فى السنتين الأولى والثانية على الأناشيد الملحنة التى يغنيها التلاميذ مع مدرسى الموسيقى بعد أن يقوم معلم اللغة بواجبه من ضبط ألفاظها وشرح معانيها لهم . ولا داعى لحصة محفوظات أخرى » .

وإنى أعقب على هذا شارحاً فأقول :

إن أثر الأناشيد لا يتناول اللغة وحدها إذ هى فيه وسيـــلة وليست غاية لأن أثرها يتناول سائر المواد الدراسية مهما تنوعت صورها وأشكالها . فهى وسيلة تشويق لتقصى المعلومات فى صورة جذابة ترسخ فى الذهن محاطة بالمرح والسعادة فى جو سمح طليق . وغير خاف أن صفاء الذهن يهيء المخ لاستيعاب المعلومات وهضمها دون كبير مشقة أو عناء . والموسيقى بأنواعها تلهب الشعور والوجدان فتكون هناك يقظة متحفزة للدرس والتحصيل . ومتى تمت هذه اليقظة أمكن إدراك كل شيء فى سهولة وتيسير . لهذا كان حتما على مدرب الموسيقى أن يكون سمح الوجه باسم الروح يتحدث أو يغنى أو يعزف فيشع الصفاء من نفسه وروحه لينعكس على وجوه تلاميذه ومستمعيه . فالطفل دائماً مرآة لما يقع عليه بصره وسمعه وحسه . والمدرس الذى يلج باب فصله حاد النظرات عابس الوجه منتفخ الأوداج سيلحظ حتما نفس الأثر فى تلاميذه لمجرد انتباههم إليه فتظلم المخيلة وتنطمس معالم الإدراك فى الأذهان . وأما البسمة والروح المنطلقة الصافية والمنطق العذب المنسجم فهذه كلها خير أداة يستغلها المعلمون والمربون فى اجتذاب القرائح والأفكار .

والأنشودة خير هتاف ينبعث من قلوب الناشئة حاملا على موجاتها ما تفيض به كلماته من المعانى والمشاعر . لهذا كان شرح النشيد وتفسير معانيه من ألزم ما يعنى به المدرس فلا يترك معنى دون ربطه بما يقابله فى سائر المعلومات التى فى قدرة التلميذ فهمها وهضمها . ويؤسفنى أن أذكر أننى سألت مرة تلاميذ فصل من فصول السنة الثانية بمدرسة ابتدائية عن المعنى الذى تدل عليه كلمة مصر فأجاب البعض أنها القاهرة وحددها آخرون بأنها تمتد من السيدة زينب إلى العباسية وأضاف آخرون الجيزة وشبرا وبولاق ، فكنت أذوب ألما لقصر معلومات تلميذ المدرسة الابتدائية عن أن يعرف مقدار اتساع وطنه الذى يضم القاهرى والاسكندرى والمنوفى والفيومى والأسيوطى إلى غير ذلك . فنحن أحوج إلى تغلغل الوطنية فى نفوس أطفالنا قبل أن يتغلغل أى شيء آخر . فكما يجب أن نعنى بأن يعرف الطفل ربه أول كل شيء فكذلك يجب أن تقترن معرفة الوطن بمعرفة الله .

واستمعت مرة إلى تلاميذ فصل من فصول السنة الثانية فى أنشودة السودان وسألتهم ماهو السودان ولماذا نخصه بأغانى الحب والحنان والعناية ؟

لقد كانت الإجابات عجيبة متفاوتة أسرد بعضاً منها فيما يلى على لسان التلاميذ أنفسهم :

قال أحدهم ـ لأن السودانيين مسلمين زينا

« ثان ـ علشان كلام البرابرة يضحك

« ثالث ـ أنا أخويا فى السودان

« رابع ـ علشان النيل ينبع من السودان

وقال خامس - علشـــان السودانيين بيلبسوا ودع وريش ويدهنوا وشهم اسود

وهكذا تفاوتت الأجوبة تفاوتاً كان من الممكن استغلاله لإشعار كل طفل بمدى ارتباطنا بالسودان ومشروعية اعتباره جزءاً لا يتجزأ من وادي النيل الكريم . ولست أدرى كيف يفوت هـــذا مدرس المعلومات أو اللغة العربية أو مدرس الأناشيد .

إن كل مدرس مادة هو شريك آخر لمدرس الأناشيد . وأرى أن يكون كل مدرس على صلة دائمة به فيطلب إليه ربط مادرسوه بنشيد مناسب . ومن هنا كانت حاجة مدرس الأناشيد كبيرة جداً إلى تنمية محصوله وجعله وافياً بالقدر المطلوب لمواد الدراسة فى شتى مناحيها .

إذن فاللغة العربية واللحن الموسيقى قد اجتمعا معاً فى النشيد لأداء رسالة واحدة هما فيها وســيلة لعدة غايات .

أما قول حضرة المؤلف إن الأناشيد التى تختار فى المدارس قليل منها مايتصل بالمناسبات . . . . الخ فهذا أرد عليه بالآتى :

أناشيد المناسبات ما أكثرها لدينـــا فهى كثيرة متنوعة تفوق الحاجة فان تفتيش الموسيقى دائب الإنتاج . وليس أدل على ذلك مما نشرته مجلات الموسيقى والمجلة الموسيقية وهذه المجلة بالذات . بل إن الأناشيد قد تطورت فى هذه الفترة الأخيرة إلى ألوان علمية فنية . وإن نظرة واحدة إلى برنامج الحفلات المسرحية التى أقامها تفتيش الموسيقى فى العامين الأخيرين لكافية بالحكم على مدى ماغمرت به المدارس من ألوان الأناشيد فى شتى صورها وأشكالها . ولئن أثمرت دراسة الأناشيد فى مدارس البنات إثماراً يفوق نظيره فى مدارس البنين فإنما كان ذلك لاهـــتمام الوزارة بهذه الناحية التى أعدت لها معاهد تخريج معلماتها علاوة على اعتبار الموسيقى والأناشيد مادة أساسية فى برامج تعليم البنات .

أما وظائف تدريس الأناشيد فى مدارس البنين فلا تزال عالة على وظائف التعليم الأولى ، ولهذا فإن دراسة الأناشيد فى المدارس الأولية بدأت تفوق المدارس الابتدائية . وقد كان لهذا أثر يذكر فى ثقافة تلميذ المدرسة الأولية الذى بدأ ينافس وينهض ، والله يعلم مدى ما للأناشيد من أثر عميق فى نهضته هذه .

وإنى لأختتم شاكراً الأستاذ المرشدى بحثه الطريف الذى حفزنى إلى الكتابة فى هـذا الموضوع راجيا أن يتفضل رجال التربية بالإفاضة والإكثار فى الكتابة عن الأناشيد والموسيقى وهذه ناحية لها حقها على القائمين بشؤون الطفل والصبي والمراهق والشاب . وهذا هو تفتيش الموسيقى بالوزارة فى معونة البـــاحثين والكاتبين . وعميـــده خير مرجع فى هذه الشؤون

مصرنا رمز الخلود

نظم الاستاذ الصاوى شعلان

مصر يا رمز الجلال جددى مجد الأوالى بالجهاد
شيدى صرح المعالى في ميادين النضال باتحاد
للمليك نحن من أوفى الجنود
بالمليك مصرنا رمز الخلود
مصرنا مصرنا مصرنا رمز الخلود

* * *

مصر لا نبغى سواها مصرنا نحن فداها
عزمنا يحمى حماها
كلنا للعلا للأمام

فى الخطوب العاديات لا نبالى بالمحن
بالدماء الجاريات نفتدى مجد الوطن
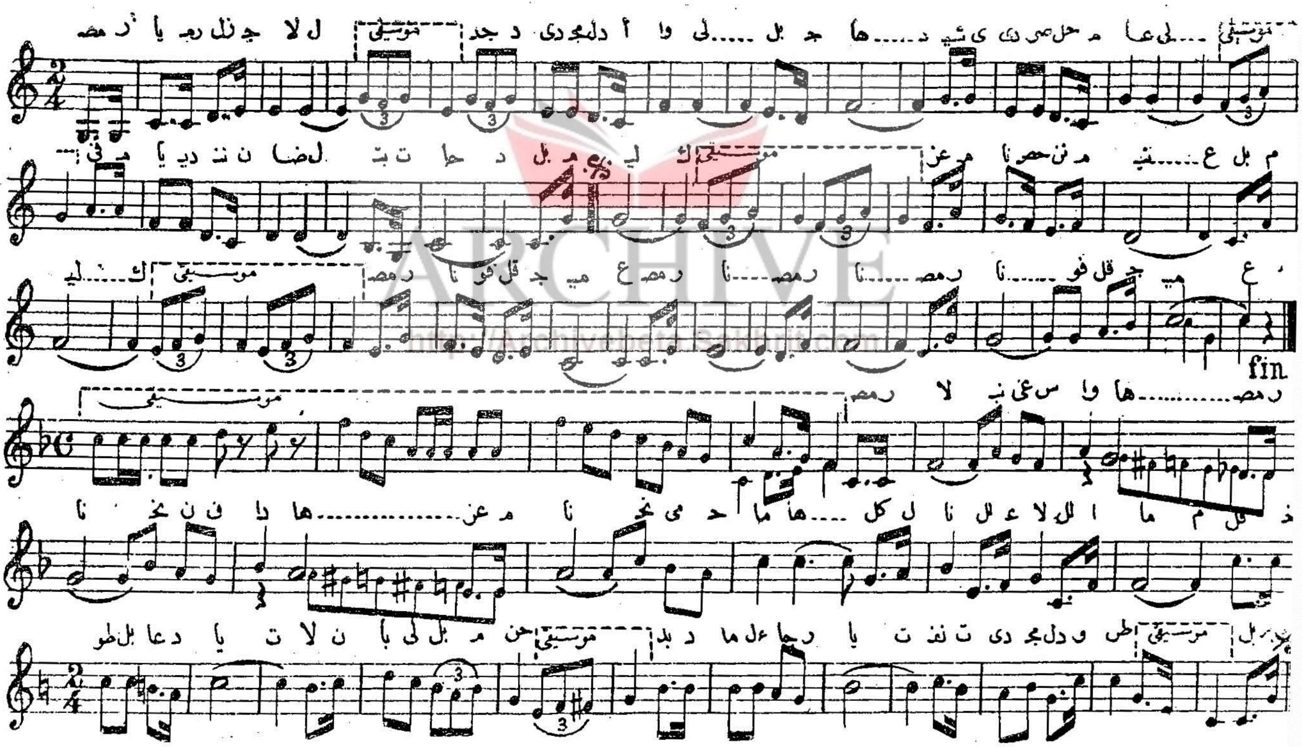
* * *

مصر يا مهد الجدود مصر يا حصن الخلود
للعلا يا مصر سودى
كلنا للعلا للأمام

راية النيل السعيد فوق أجيال الزمن
نرتجى فوق المزيد كل مجد للوطن

نشيد

مصرنا رمز الخلود

تلحين الاستاذ محمد صلاح الدين



ملحوظة : تكرر موسيقى النشيد وفاقاً لفقرات النظم

فى عالم الموسيقى والمسرح

محطة الاذاعة

تعديل البرامج

تسلمت الحكومة المصرية إدارة محطة الاذاعة اللاسلكية منذ أول يونيه الماضى . واتخذت التدابير العاجلة لتحويل مطبوعات الإذاعة ومكاتباتها وحساباتها إلى اللغة العربية ، وتمصير الوظائف الادارية والفنية .

وسيعنى بوجه خاص بتعديل البرامج تعديلا شاملا على النحو الآتى :

١ — تعزيز النشرة الإخبارية بحيث تتضمن أهم الحوادث ، والأنباء المحلية ، وأسعار البورصة ، وأسعار المحاصيل ، معتمدة فى ذلك كله على محررى الإذاعة .

٢ — إذاعة أهم الأنباء العالمية المستمدة من المحطات الرئيسية فى العالم.

٣ — إعادة نشر الأخبار فى الصباح وإذاعة آخر أنباء المساء .

٤ — إذاعة يومية للسيدات والأطفال تتضمن عدا قصص وموسيقى الأطفال تمرينات رياضية للسيدات ، وتوجيهات فى تدبير المنزل وإدارته وتأثيثه وتجميله وتربية الأطفال وطلى الأدوات واللوازم المنزلية ، وبث مبادىء الخدمة الاجتماعية .

٥ — حديث فى أهم الشؤون الداخلية واستعراض اسبوعى للسياسة العالمية

٦ — تعزيز الإذاعة المدرسية وتعميمها فى جميع المدارس بحيث تشمل أهم الشخصيات التاريخية - ووصف المدن والأقطار - ووصف الآثار والمتاحف والمؤسسات العامة.

٧ — إذاعة يومية تتضمن تمثيليات وقصص ومطالعات من أمهات كتب الأدب ، القديم منها والجديد

٨ — تعزيز الاذاعات الموسيقية وتهذيبها وتجديدها .

٩ — الاحتفال بالأعياد القومية والذكريات التاريخية المصرية . والعناية بنوع خاص بأبطال التاريخ المصرى الحديث ، والبارزين من أبنائها فى مختلف العصور

١٠ — إذاعة حلقات تاريخية عن المدن المصرية فى مختلف العصور

١١ — الاتفاق مع الإذاعات الخارجية ، والعربية منها بوجه خاص، لتبادل أهم الاذاعات الموسيقية والثقافية ، والانتفاع ببرنامج الاتحاد الثقافى للدول المتحدة « ليونسكو »

١٢ — انتفاع البرنامج الأوربى الحالى بالعناصر الملائمة من البرنامج العربى ، وخاصة ما يتصل منه بالأحاديث اليومية ، لتعريف النزلاء الأجانب أهم مميزات الحياة المصرية .

١٣ — تحسين مجلة الراديو المصرى من حيث مادتها وطبعها .

وسيتوج هذا البرنامج بدعوة أهم المقرئين والمفسرين لتلاوة القرآن الكريم وتفسيره .

ومجلة « الموسيقى والمسرح » ترجو مخلصة أن توفق إدارة الإذاعة فى عهدها الجديد ، الذى نعتز بمصريته وقوميته ، إلى تحقيق هذا التحسين فى البرامج على صورة تقضى على الفوضى التى سادت محطة الإذاعة طوال السنوات الماضية ، وذلك بالرغم من الجهود المتواصلة التى بذلها الكتاب والمصلحون لوضع حد لهذه الفوضى

مهرجانات دولية

فى انجلترا

سيقام فى مدينة إدنبره مهرجان دولى للموسيقى والمسرح فى المدة من ٢٤ اغسطس لغاية ١٧ سبتمبر سنة ١٩٤٧ .

فى سويسرا

وسيقام مهرجان دولى للموسيقى فى مدينة لوسرن فى المدة من ٩ أغسطس سنة ١٩٤٧ الى ٢٥ منه .

معلمو ومعلمات الموسيقى

لمناسبة تنسيق الدرجات بالوزارة تقدم تفتيش الموسيقى والاناشيد بطلب تخصيص عدد من الدرجات له فى مختلف أنواعها ، وبخاصة فى الدرجتين السابعة والسادسة . وذلك حتى يمكن إنصاف المعلمات والمعلمين بما يتناسب وأهمية رسالة هذه الطائفة وما تبذله فى عملها من جهد شاق .

كما طلب نقل المقيدين منهم على التعليم الأولى الى درجات فى التعليم العام حتى لا يحرموا من الانتفاع بهذا التنسيق .

وقد لاقت هذه المطالب تعضيداً من الجهات العليا بالوزارة .

المعهد العالى لمعلمات الفنون

ظهرت نتيجة امتحان الموسيقى « فى القسم العام » وقد نجحت فيه الآنسة رتيبه محمود احمد الحفنى نجاحاً ممتازاً . ولم يتقدم غيرها للامتحان .

معهد فؤاد الأول للموسيقى العربية

تقرر إلغاء تدريس العود بصفة إضافية لطلبة آلة الكمان وفصيلتها بالفرقة الثالثة والرابعة . وإبقاء دراسة الكمان الشرقى لطلبة الكمان بالفرقة الخامسة . وزيادة حصص الأداء الإجماعى الذى يشترك فيه طلبة الفرق الثالثة والرابعة والخامسة من آلات وأصوات معاً الى حصتين أسبوعياً .

الفرع المدرسى

لمعهد فؤاد الاول للموسيقى العربية

امتحان الدبلوم

الـــدور الاول يونيه ١٩٤٧

مادة : التاريخ الموسيقى

الزمن : ساعة ونصف

(١) تكلم عن التراتيل والأناشيد الكنسية فى العصور الوسطى بأوربا . وماهى أهم الأعمال التى قام بها جريجور الأول للنهوض بهذه الألحان .

(٢) كيف تطور التدوين الموسيقى فى أوربا فى العصور الوسطى ؟ أذكر أهم التطورات التى مرت به حتى عصر جيدو أريزو .

(٣) تكلم عن نابغة الموسيقيين الألمان « چوزيف هايدن » . أذكر أهم القطع الموسيقية التى قام بتلحينها .

(٤) قل ما تعرفه عن : ريجولتو ـ عايدة ـ فيديليو ـ زالومى
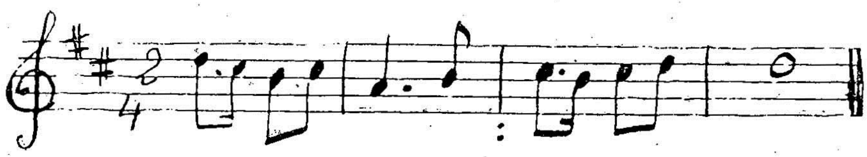
مادة : توزيع آلى

الزمن : ساعتان
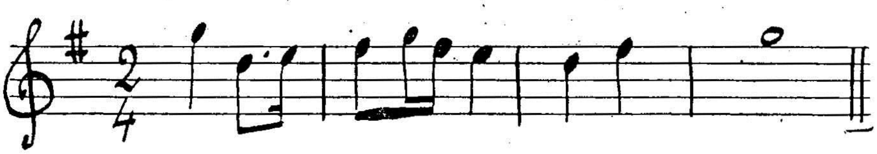
السؤال الأول : دون امتداد الأصوات البشرية الآتية : الباص ـ تنور ـ كنترالطو ـ سوبرانو

السؤال الثانى : اكتب السلالم الموسيقية للآلات الآتية : كنترباص ـ فيولنسل كلارنت سى b ـ فلوت دو كورنيت سى b ـ ابوا ـ ترومبون :

السؤال الثالث : دون هذه القطعة للآلات الآتية: فلوت رى b ــ كور انجليزى ــ سكسفون مى b ــ كلارنيت لا ــ كورنيت سى b ،



السؤال الرابع : دون القطعة التالية للآلات الآتية : كلارنيت سى b ــ بوفنيم ــ باريتون مى b ــ أبوا ــ فاجوت ــ كور انجليزى .



مادة : طرق خاصة التدريس الموسيقى

الزمن : ساعة ونصف

أجب عن سؤالين فقط مما يأتى :

(١) قارن بين القراءة الإيقاعية من إشارات أصابع اليد وبين هذه القراءة باستخدام اللوحة الإيقاعية .

(٢) ما أغراض التربية الموسيقية فى دور الطفولة ؟

(٣) كيف يمكن البدء بتعليم القراءة الزمنية على طريقة Aimé Paris ؟

مادة ـ تحليل وتصوير الانغام

الزمن : ساعة ونصف

(١) حلل إلى أجناس مقامى العراق والفرحفزا فى حالتى الصعود والهبوط مع ذكر شخصية كل منهما .

(٢) أذكر ماتعرفه عن ما يأتى :

السماعى ــ اللونجة ــ الموال ــ الأهزوجة . . . ما هى علاقة كل منها بالإيقاع؟

(٣) المطلوب تصوير مقام البياتى على درجة الأوج ـــ مع ذكر دليل المقام وأسمـــاء الدرجة فى حالة التصوير .

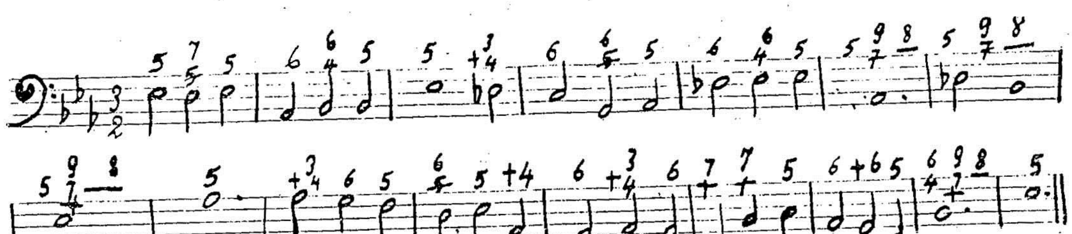
(٤) حلل القطعة الموسيقية المرافقة ـ إلى نغمات مبينا ذلك بأقواس على بداية ونهاية كل نغمة . أذكر اسم المقام الملحن منه القطعة المذكورة .

(القطعة المشار إليها فى السؤال هى الخانة الأخيرة فى السماعى نهاوند « صفر على » وموجودة فى كتاب دراسة العود)

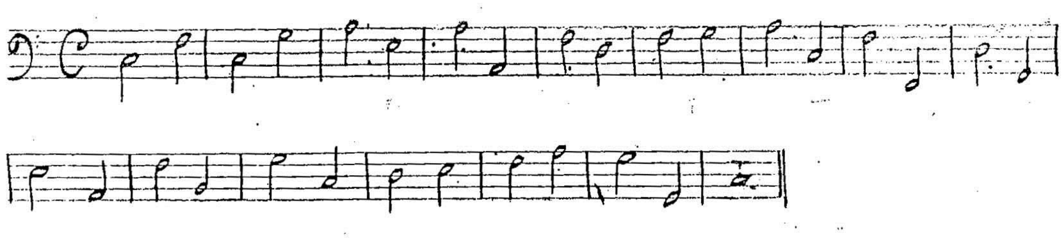
مادة : الهارمونى

الزمن : ثلاث ساعات

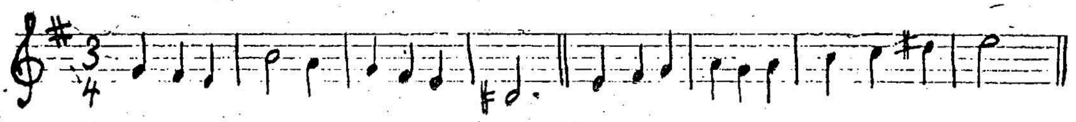
(١) ضع التآلفات اللازمة لهذه القطعة وبين النغمات والدرجات والقفلات التى بها مع ملاحظة أن يكون على أربعة مفاتيح :



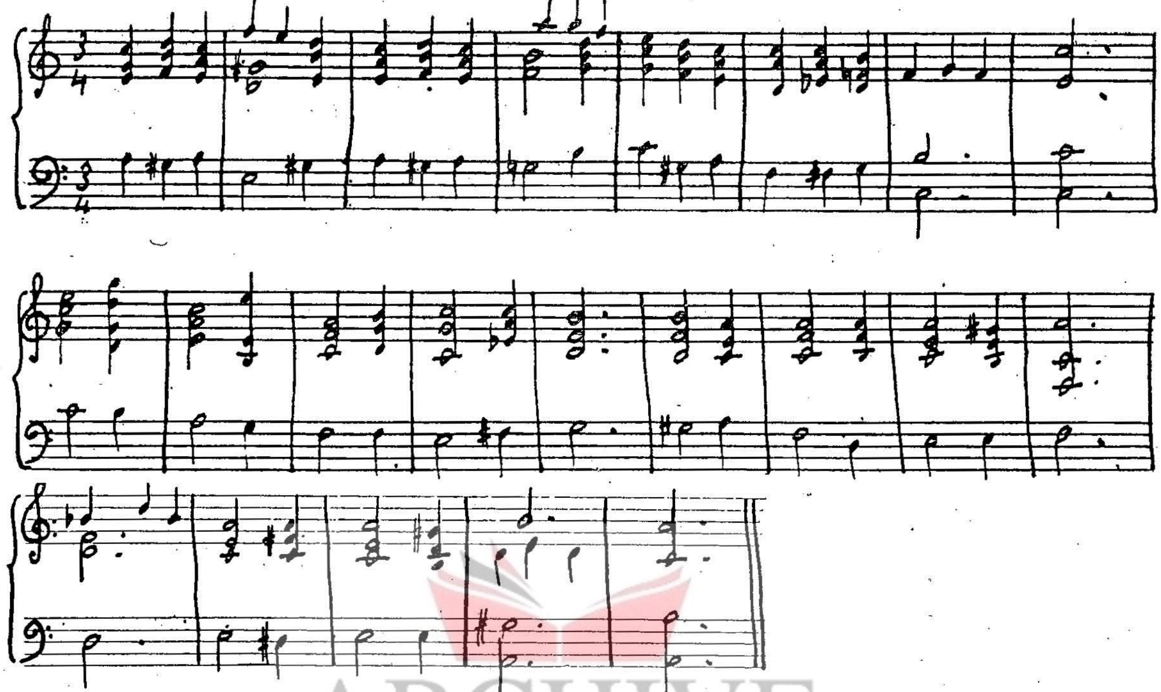
(٢) ضع التآلفات اللازمة لهذه القطعة بعد ترقيمها حسب القاعدة المتبعة وبين النغمات والدرجات التى بها



(٣) ضع الهارمونى للقطعة الغنائية الآتية :



(٤) حلل القطعة الموسيقية الآتية وبين ما تعرفه عنها :



القصص الموسيقي

مغنيـــــة ناشئـــــة

قصة كامـــــلة

(عن الألمانية)

هذه زوجة مدير الغرفة التجارية لمدينة (كوردام) وصاحب مصنع قوالب الطوب بها تنظر فى ساعتها للمرة الثانية، وتهز رأسها متعجبة «لقد رغب «هاينز» فى أن يعود من المدينة فى تمام الساعة التاسعة وقد حانت العاشرة ولما يعد. لعله التقى بنفر من أصدقائه وقصدوا كعادتهم إحدى الحانات بينما نجلس نترقب نحن عودته للطعام».

فأجابتها ابنتها «نيلى» وكانت فى منتصف العقد الثانى من عمرها، وقد أحست فى تأخير والدها كأنما أصبح اليوم يومين، وكانت مستلقاة على أريكة بالغرفة واضعة إحدى فخذيها على الأخرى «يا أماه»! أخشى أن يكون والدى قد أصيب بخسارة مالية أقعدته فى الأركان المظلمة من المدينة، ولعله يحضر قريباً، قالت ذلك وهى تتمنى فى نفسها لو يطول غياب والدها إذ كانت قد بدأت قراءة قصة مسلية جدّ التسلية، وتمنت لو تركت تقرأ فيها طوال الليل. ولماذا يحتم عليها أن تقصد إلى سرير نومها كل ليلة فى تمام الساعة التاسعة؟ مع أن «إيمى» صديقتها فى المدرسة تظل يقظة إلى الساعة العاشرة مساءاً!! وكانت الأم تمسك بمنديل فى يديها تعبث به وتعض عليه بأسنانها، وقد غدت عيناها براقتين. فقالت لابنتها وصوتها تكاد تحبسه العبرة: «أذهبى الآن إلى سريرك».

— إنك تعرفين يا أماه مقدار حزن والدى إذا لم يقبل ابنته الوحيدة قبل نومها، أرجوك يا أماه أن تسمحى لى بالبقاء.

وإذا بضوء ينبعث فى الغرفة، خيط من أشعة نور زرقاء وقع على الحائط فعرفته «نيلى» وقفزت من مقعدها مسرعة نحو مصدر الضوء «إنه مصباح والدى». أما والدتها المتعبة فقد مسحت بيدها عينيها ووضعت على وجهها قليلا من مسحوق البودرة ثم قامت تمشى الهوينا متجهة نحو السلم، وأخذت تنزل درجاته على مهل مستقبلة هى الأخرى زوجها الذى رن صوته من بعد.

— هل لاتزالين يقظة أيتها الطفلة؟ قال الوالد ذلك وهو يمطر ابنته وابلاً من القبلات، إنما عليك أن تبادرى الآن إلى سريرك..». ثم واجهته زوجته بتحيتها.

ـــ مساؤك سعيد يا هاينز .

نطقت الزوجة هذه التحية بلهجة لم تخف على زوجها الذى جرب العالم ، وعرك الحياة ويعلم جيد العلم أن ما تعنيه بالمساء هو منتصف الليل الذى اقترب ، وأن كلمة « سعيد » ليس للزوجة المسكينة حظ منها قل أو كثر . لهذا لم ير بدأ من أن يقابل هذه التحية المقصودة من زوجته بقبلة سريعة طبعها على فمها وقال بوجه باش ضاحك « سأخبرك عندما نصعد بكل شىء ، وإنى أقسم لك أنى سأكفر عما سلف ولن أكتمك سراً » . ولم تستطع زوجته تجاه هذه المقابلة الرقيقة إلا الصمت . وكانت تقابله فيما مضى بالانتحاب والبكاء كلما جاء إلى المنزل متأخراً فلم تزده عبراتها إلا ضحكا وإلا سخرية والآن ليس لها إلا أن تستسلم لهذا النوع من الكلام « إنى أبلغك أولا تحية صديقنا « جنتر » » .

هكذا بدأ زوجها حديث توبته .

ـــ شكرا لك يا هاينز ، وهل كنتما معا حتى الآن ؟

ـــ نعم يا عزيزتى ، ولكننا لم نكن فى هذه المرة فى حان إنما كنا نرتشف من مناهل الفن الشريف .

ـــ كنتما إذن فى إحدى صالات الرقص ؟

ـــ كلا يا عزيزتى لم نكن فى صالة رقص ، بل كنا فى حفلة غناء .

فضحكت الزوجة ساخرة وقالت « قد كان مستطاعا أن أصدق أمر ذهابكما إلى إحدى صالات الرقص ، أما إنكما حضرتما حفلة غناء فأمر لا يمكننى تصديقه » .

فوضع الزوج يده فى جيبه وقال : إليك البرنامج ها هو ... وأخرج من جيبه ورقة مطبقة وأخذ ينشرها ثم قدمها لزوجته وقال :

ـــ طبعاً مغنية ! ! وهذا ما يعنيك أكثر من الغناء نفسه . وإذا كانت المغنية ، فوق جمال صوتها وجمال برنامجها جميلة الخلقة ماذا يكون فى الأمر ؟

ـــ إيزابيل نافرا ؟ إنى لم أسمع مطلقاً بهذا الاسم !

ـــ وأنا أيضاً يا عزيزتى لم أسمع به قبل الليلة . وهذا مما يزيد الإعجاب بها ، فلقد صادفت من النجاح قسطاً لم تره مدينتنا قبل الليلة . وهى جميلة المحيا جذابة الصورة ، سمراء اللون ، حلوة الابتسامة . كاد الجمهور يجن بها . ولعمرى إن حسن ذوقها فى ملبسها و . .

فقاطعته زوجته وقد لاحظت أن وجه الرجل يكاد ينطق بما يتكلم .

ـــ كنت أحسبك سمعت غناء ؟ ولكن ما تنبسط فيه من الوصف يدل كأنك كنت فى مسابقة جمال أو معرض أزياء .

ـــ صبراً يا عزيزتى . إن ما قلته هو مجرد وصف وجب البدء به . وينبغى ألا تنسى أهمية حسن المظهر وجمال المنظر فى إنجاح الحفلات . ولا تغفلى أن الجمهور يعلق على ذلك أهمية عظمى .

فلم تستطع الزوجة كظم غيظها ، وقالت :

ـــ من قلة الذوق أن تواجهنى بمثل هذا القول فتضع بين يدى مثل هذا المبدأ القذر ، وأنت تعلم أنى رئيسة « النادى النسوى لرعاية الموسيقى الجيدة » . إن أهالى مدينتنا « كوردام » لم يبلغ بهم الحد ، ولله الحمد ، ما بلغه سكان المدن الأخرى من أن يطغى اهتمامهم بالمظاهر على اهتمامهم بالفن ذاته . على أنى بصرف

النظر عن وصفك العجيب لتلك المغنية الناشئة ، أرى البرنامج خلواً من الفن ومن الذوق ، مملوء بمقطوعات بالية .

— كيف؟ الجماهير المتدفقة . . التذاكر التي نفدت قبل البرنامج بساعات . . . الصراخ وهياج الإعجاب ... اضطراب الصالة بعد أول أنشودة . . . أظن كل هذا دليل على أن البرنامج ..

— هذا ما لا تستطيع أن تفهمه يا هاينز . أنت رجل أعمال ، وتستطيع أن تفهم أعمالك المالية . أما مثل هذه الأعمال الفنية فخير لك ألا تعالجها البتة ، فإن ترتيب المقطوعات في هذا البرنامج ناطق بضعف فنية هذه المغنية وأنها ليست جادة . ولن أعجب مطلقاً إذا وجدت النقد يقسو عليها فيوجه إليها أقسى سهامه .

— النقد !! ومن يهتم للنقد !! إنما المهم النجاح .. والمهم رضا الجمهور عن المغنية إذ هو الذي يدفع النقود. وبعد هذا النجاح المنقطع النظير الذي حدث الليلة يمكن للنقد أن يكتب ما يشاء . . إن هذه المغنية الناشئة فنانة من الدرجة الأولى .

— سترى أن الطبقة المثقفة ذات الذوق الفني من الجمهور ستنصرف عن هذه المغنية . وإذن تجد نفسها مضطرة إلى تعديل أسلوب برامجها ، فإننا معشر الموسيقيين لا نعترف إلا بما هو صحيح

— آه ياعزيزتي لو كنت سمعت هذا الصوت !! ليتني كنت شاعراً ، إذن لصنعت لها من الشعر قلائد هي جديرة بها . هكذا كانت حلوة وجميلة . . إن مدينتنا لم تحظ في جميع تاريخها بمثل هذه المغنية . وليس من السهل أن يجود علينا الزمان في المستقبل بمثلها .. معجزة هذه المغنية !! ما كان أجمل غناءها لأنشودة الشراب . .

— هذه الأغنية التي أعجبتها ، نسميها أغنية برنديزي

— سمها كما تسميها . هذا أمر لا يهمني إنما قولي كيف كان لحنها دا دا ، يا يا ، تا تا . . . قولي كيف كان اللحن ؟ دا دا ، يا يا ، تا تا

وفجأة استجمع ذاكراته كأنما طرأت عليه فكرة عجيبة وقال : ماذا اعتزمتم عمله في الحفلة القادمة بالنادي؟

فشعرت الزوجة كأنما يسخر منها وقالت :

— في الحفلة القادمة !! إنك تعلم جيداً ماذا اعتزمناه سيدعى المغني الباريتون (سيترر) في حفلة ١٥ مايو وسيغني بناء على طلب الكثيرين أنشودة (رحلة الشتاء)

— في (الربيع) تطلبون أنشودة (رحلة الشتاء)!! قال الرجل ذلك وعلت قهقهته ، وأخذ يتذكر اللحن الذي في رأسه دا دا ، يا يا ،

فحملقت الزوجة في وجهه وقالت:

— أرجو ألا يكون قد جال في خاطرك دعوتها إلى النادي . إني بصفتي رئيسة . .

فقاطعها زوجها بقوله : إن عزمي أكيد ياعزيزتي

— إذن فسنرفض هذا بكل شدة . وإن مغنية ناشئة كهذه ، لها أسلوب كهذا ، لن يفتح لها باب النادي النسوي لرعاية الموسيقى الجيدة .

— إذن فتجلدي واسمعي الخبر الآتي:

لقد تم اتفاقي اليوم ، بما لي من السلطة المخولة بحكم وظيفتي بصفة كوني أميناً لصندوق النادي ، مع السيدة (نافرا) المغنية الناشئة - كما تريدين دائماً أن تسميها - على أن تحيي حفلة ١٥ مايو . ولقد وقعت هي أيضاً الشروط وستنزل ضيفة علينا في منزلنا هذا

مضت دقيقتان على هذا الإعلان الجريء عم فيها الصمت ، وخرست الزوجة ، ولم يسعفها كلام . . . ثم ابتدأت بعد ذلك كأنها تصحو من حلم أو تفيق من نوبة . . ثم انتصبت في مكانها وقالت في لهجة جادة :

— إذن فسيكون حديثنا غداً أمام الجمعية العمومية

وخرجت بعد أن أغلقت باب الغرفة خلفها بصوت

دوى فى البيت كأنما هو الرعد ، وسمع مفتاح يدور فى غلق الحجرة المجاورة ... ثم صمت وسكون ...

دقيقتان أخريان بعد ذلك ، وإذا بالرجل يطلب خادمه ويأمره بإحضار غطاء ، ثم تمدد على الأريكة التى كان يجلس عليها . ونام حتى الصباح حيث كان موعد اجتماع الجمعية العمومية للنادى النسوى

* * *

فى تمام الساعة الثانية عشرة حضر جميع أعضاء النادى تقريباً إلى منزل الرئيسة . إنهن يتناقلن إشاعات غريبة ويظهر فى أصوات بعضهن الاضطراب وعدم الهدوء لقد جلس الجميع فى غرفة الأكل الفسيحة حول منضدة كبيرة ، وقد تبوأ السيدات أعضاء مجلس الإدارة مقاعدهن على كراسى ضخمة ، بينما أمسكت الرئيسة بالجرس وقرعته إيذاناً بافتتاح الجلسة وقالت :

ـــ سيداتى !! لقد دعوتكن اليوم إلى جلسة غير اعتيادية لتتخذن قراراً فى مسألة هامة . وإنى أعطى الكلمة الآن لحضرة مدير الغرفة التجارية أمين صندوق النادى .

فنهض الرجل وقد أغمض عينيه قليلا وارتكز على المنضدة وقال :

ـــ سيداتى !! إنى لا أعلم إذا كانت حضرة السيدة الرئيسة قد شرحت لكن المسألة تليفونيا . فإذا لم تكن قد فعلت فإلى حضراتكن الأمر موجزاً .

لا بد أنكن تعلمن من الصحف خبر المغنية التى أطربت مدينتنا ليلة أمس والتى فتحت فتحاً جديداً فى عالم الفن (ثم تفرس فى وجوه السامعات فلم يلحظ عليهن علامة سخط أو رضاء ، إنما كانت وجوههن متطلعة لمعرفة باقى المسألة)

.... وإنه لمعلوم لحضراتكن ، سيداتى الفضليات أنى بصفة كونى أمين صندوق النادى النسوى لا آلو جهداً فى العمل على تحسين حال النادى ، لا من الوجهة المالية فحسب بل من الناحية الفنية أيضاً . ولا بد أن حضراتكن تذكرن مجهوداتى السابقة فى هذه السبيل . من أجل ذلك رأيت واجباً على فى هذه المرة أيضاً أن أنتهز الفرصة السانحة فسمحت لنفسى بالتعدى على هيئتكن الموقرة ، أو بعبارة مهذبة ، قد اجترأت على حقوقكن فاتفقت مع السيدة « إيزابيل نافرا » على إحياء حفلة ١٥ مايو ، ذلك بأن الباريتون « سيترر » المغنى ....

لم يستطع الاستمرار فى حديثه فقد عبست الوجوه ، ووجمت النفوس ، وظهر على الحاضرين علامات عدم الرضا ... فزع السيدات من مقاعدهن مضطربات ، وأخذن يلتفتن بعضهن إلى بعض بوجوه جامدة وأعصاب متشنجة . وسمع دوى جرس الرئيسة يتزايد فى المكان وقد نزلت عن الشىء الكثير من مكانتها ورزانتها . فأخذت تلوح بيدها يمينا وشمالا ، والجلبة تتزايد والضوضاء تستمر ...

ثم أعطت الرئيسة الكلمة للآنسة « زشل » وهى سليلة أسرة الموسيقار الخالد « يوهان سباستيان باخ » أبى الموسيقى الكلاسيك . فبدأ صوتها يرن فى المجلس محتجة على أنه من أشد صفحات تاريخ هذا النادى سواداً أن يغفل أمين صندوقه حق المجلس ويتفق مع إحدى المغنيات ، وذلك فضلا عن أن المغنية لا تزال ناشئة ، بينها وبين النضوج الفنى شقة شاسعة . ثم صرخت قائلة :

ـــ يجب ألا يكون إقبال الجمهور مقياساً للنجاح فتعمى الأبصار وتضل القلوب . ولتكن كلمتنا أيتها السيدات كلمة إجماعية وهى رفض دخول مثل هذه المغنية حجرات نادينا المحترم . ومن منا من لا تزال

موسيقى « باخ » ترن فى أذنيه ؟ وأين المغنى التينور (جوتهولد) الذى استدر عبراتنا بأغانيـــه ؟ ؟ ثم ختمت كلمتها بوعيد وجهته إلى أمين الصندوق بما يفيد أن مركزه بالنادى رهين الانتخابات ، وإن موعدها لقريب . وستضع هذه الانتخابات حداً لمثل هـذه المهـازل التى تجرى فى النـادى النسوى .
ثم جلست .

وتلاها اثنتان غيرها لم تخرجا فى موضوع حديثهما عما سلف، ثم جلستا . وبهذا شعرت الآنسـة (زشل) بانتصارها على أمين الصندوق ، وصدق وقع كلامها فى الهيئة .

ولكن أمين الصندوق رجل محنك ، قد تعود الحيطة فى أعماله دائماً ، شأن رجال الأعمال . وقد أعد لهذه الصواعق مانعاتها ، فترك الجميع حتى بلغ بهن الصخب أشده ، ثم نهض من مكانه يقول :

ــ سيداتى !!.. تأخذن على أنى أقامر بالسمعة الطيبة التى يتمتع بها نادينا المحترم ، وما ذلك إلا لأننى تجاهلت التعاقد الذى بيننا وبين المغنى (سيترر) . ولكن هذا ليس الواقع ، فإنى لم أغفل أمر هذا التعاقد بل على النقيض من ذلك قد بادرت اليوم صباحاً بكتابة رسالة إليه غاية فى الرقة ، أبلغه فيها أن النادى يأسف كل الأسف لاضطراره إلى الاستغناء فى هذه المرة عن خدماته وذلك بسبب حدوث خطأ كانت نتيجته الاتفاق مع مغنية أخرى ستحل محله فى تلك الحفلة ...

فدوت فى القاعة جلبة تعجب واندهاش .

ــ ... أرجو عدم مقاطعتى. وإن الهر (سيترر) ليستطيع أن يكون راضياً قرير العين بهذا الرأى لأنه سيتناول أجره كاملا غير منقوص برغم عدم قيـامه بالحفلة . بل وستصرف له أجور السفر والانتقالات برغم عدم قيامه بها ...

ــ أنعم بهذا من أمين صندوق ...

قالت ذلك الآنسة (زشل) فى تهكم واستهجان وقد هزت كتفيها بحركة عصبية . فأجابها الرجل :

ــ بالتأكيد يا آنستى . وكم ستكررين قولتك أنعم بهذا الرجل من أمين صندوق عندما تسمعين بقية الحديث . سنمكن المغنية (نافرا) من إحياء حفلتنا بأن نبيع تذاكرها لغير أعضاء النادى بأثمان مرتفعة ، ولعدد تضيق به فسحة المكان . ولن نعوض من ذلك ماغرمناه للمغنى (سيترر) فحسب بل سيحقق لنا الدخل تنفيذ مشروعنا الخاص بالأرغن ...

فعقدت الدهشة أفواه السيدات واحتبست أنفاسهن، وعجبن لمثل هذه العبقرية المالية التى لم يخلقها الله منذ تأسس هذا النادى . وإن الإنسان ليكاد يحترم هـذه القحة ، والتمادى فى عدم الاكتراث بالغير ...

ثم علا صوت الرجل يقول :

ــ الآن فلأستمر فى حديثى . إذا لم يكن من اللياقة أيتها الآنسة (زشل) عدم احترام العقد الذى أبرم مع المغنى (سيترر) أفليس من عدم اللياقة كذلك عدم احترام العقد المبرم مع المغنية والذى وقعته ليلة أمس؟ أو ليس الأمر جلياً لحضراتكن أيتها السيدات الفضليات؟

وكانت الرئيسة جالسة جامدة . ولم تكن تنتظر هذا الانتقال الذى يمهد به زوجها إلى النصر . وإذا بها تسد عليه الطريق . وفجأة يسمع لجرسها صوت يدق بشدة وهى تقول :

ــ أيتها السيدات ! إنى أستميحكن العذر فى مقاطعة حضرة الخطيب . فإنى أرى أن سمعة النادى توضع فى مهب الرياح بقبول مثل هذه المغنية . وليس أدل على ذلك من هذا البرنامج . خذنه ، إطلعن عليه ، ثم أحكمن بما ترينه ...

فأخذت الأيدى تتداول البرنامج ، ثم لم تمهلهن الرئيسة حتى ابتدرتهن بسؤالها :

ــ والآن ما قول حضراتكن ؟

فكانت الكلمة الأولى للآنسة (زشل) فقامت تشكو من جديد وتقول :

ــ إنى أفضل أن تقطع أصابعى على أن أستعملها فى مصاحبة مثل هذه المغنية فى مثل هذا البرنامج الحقير الفاضح . . .

ذلك بأن الآنسة « زشل » كانت تتوهم أن سيكون فى مقدورها يوما ما مصاحبة أحد المغنين فى حفلة كبرى

ولئن كان حديث الأخريات مخالفاً لتلك الآنسة فى التعبير ، لقد كن جميعاً مجمعات على عدم الرضا عن هذه المغنية . وقد شعر الرجل باقتراب انهزامه ، وأنه يكاد يخسر الموقعة فقال :

ــ إنى قبل أن أمضى فى كلامى أريد أن أنبه حضرات سيداتى الفضليات أننا الآن فى منتصف الساعة الثانية وأنى وحضرة الرئيسة سيكون لنا غاية السرور إذا تنازلت هيئة المجلس الموقر فقبلت تناول الغداء معنا على مائدتنا المتواضعة ، وأن تكن جميعاً فى ضيافتنا . وإنى أعتقد فى كرمكن لتلبية هذه الدعوة التى تشرفنا وتزيد من قدرنا . . . وإيجازاً للموضوع الذى نحن بصدده وهى مسألة البرنامج فإنى أتركه كلياً لحضراتكن . وإنى على أتم استعداد لأن أتقبل البرنامج الذى تتقدم به هيئة النادى وأبعث به إلى المغنية « نافرا »

فارتعدت الرئيسة لأنها تعرف الرجل جد المعرفة وتخشاه ، لأنه خصم قوى . وقد حاولت مرة أخرى ألا تدع له الفرصة وأن تعود إلى هيئة المجلس فتتحدث إليه من جديد . . .

وما كان أسرع الرجل ، وقد أدرك اقتناع الأكثرية برأيه ، وإعراض الغالبية عما تتكلم به الرئيسة أن فاجأ الهيئة بطلب أخذ الرأى فى الموضوع اقتصاراً للوقت ، فكانت نتيجة التصويت بزيادة صوتين فى جانب رفض المغنى (سيترر) . ووعد أمين الصندوق هيئة المجلس للحصول على رغباتهن بشأن البرنامج اليوم قبل انصرافهن . وبذلك قضى الأمر ، وظل الجميع فى سرور طيلة الظهيرة

وفى موعد شرب الشاى جمع الرجل رغبات كل منهن بشأن البرنامج ، ثم قام إلى مصنعه وطوح بأوراق تلك الرغبات فى سلة المهملات وحرر كتاباً كله رقة وأدب إلى السيدة (نافرا) يبلغها فيه بناء على الإجماع العام ترحيب النادى النسوى بإعادة نفس برنامج أمس بحذافيره . . . .

ولم يكتف أمين الصندوق بما فعل بل راح ينشر دعاية واسعة . فأمر بتكبير صورة المغنية ثلاث أمثال حجمها الطبيعى ، كما طبعها على إعلانات خاصة ، وكتب تحتها اسم المغنية بحروف من نار ، وما ورد من قول الصحافة فيها . وإن المرء ليواجه بتلك الإعلانات أنى سار ، ففى الصيدليات تجدها بين زجاجات العقاقير ، وعند القصاب بين قطع اللحم ، وفى الفنادق يتعثر بها كل ضيف ، وضاقت بها اعمدة الشوارع وأرصفة الطرقات ، بل وأرض الشوارع . ولقد تعدى ذلك فأخذ فى ابتكار الحكايات والنوادر ونسبتها إلى المغنية وجعل صالات المدينة تتحدث كل ليلة بتلك النوادر التى ليس لها من الحقيقة ظل ، ولكن المدينة أصبحت كلها تلهج بذكر تلك المغنية ، وتتناقل الأحاديث عنها ،

وإن كان الجميع يجهلون مصدر ما يشاع ، ولا يدرون حقيقة ما يقال .

ولقد استفزت هذه الحال شعور رئيسة النادى من جديد حتى همت باستدعاء الجمعية العمومية مرة أخرى ، لولا أنها تعلم تماماً الفشل المقدر لها ، فلم تستطع الصبر على هذا النضال النفسى فأقبلت على زوجها تقول :

— منذ اختراع الأسبرين لم يجد الناس طريقة فى الإعلان أطرف من طريقتك فى الإعلان عن تلك المغنية . لقد ضقت بالأمر ذرعا . . .

فأجابها الرجل فى هدوء وبرود :

— الإعلان هو كل شىء .. هكذا يقول الأمريكيون وهم ملوك الإعلانات .

فكادت الزوجة تتميز غيظاً ، وأجابته : إن العبقرية الحقيقية للفنان الصحيح تعرف طريقها إلى النجاح دون جلبة ودون قرع الطبول . . .

— نعم ولكن إذا كان ذلك سبيل نجاح العبقرية فليس ذلك سبيل نجاح ميزانية النادى الضئيلة التى أضعفها تعلق سيداته بالمغنى « سيترر » . والآن قد سنحت الفرصة لتحسين أمر هذه الميزانية وينبغى أن انتهزها ..

* * *

فى تمام الساعة الحادية عشرة من صباح يوم ١٤ من مايو وردت برقية هذا نصها :

« سأصل ١٤ مايو فى منتصف الحادية عشر صباحا »

« نافرا »

وإذن فقد وردت البرقية بعد وصول المغنية . لقد ارتج على رئيسة النادى عند ما فضت البرقية وعرفت مضمونها . ولقد بادرت إلى التليفون تخطر زوجها بها وأسرعت العربة إلى المحطة حيث كانت « نافرا » جالسة على حقيبة كبيرة باسمة الثغر منشرحة الصدر . فأقبل الرجل عليها يقبل يديها معتذراً فى ارتباك وتلعثم عما وقع من التأخير . فأجابته المغنية :

— إنى آخذ حمام شمس فى مدينتكم وذلك بسبب إهمال النادى النسوى أمر استقبالى

— إن برقيتك لم ترد إلا قبل خمس دقائق

— ولكنى قد أرسلتها اليوم فى الثامنة صباحا ، فهل هذا متأخر ؟

فرغب الرجل أن يحول مجرى الحديث فسألها :

— ولكن أين مصاحبك ؟

— لا أدرى . لعله يحضر غداً . على أنى لست فى حاجة إليه اليوم فهو يعرف البرنامج الذى طلبتموه معرفة مؤكدة . هل أعددت لى مكاناً مناسباً أنزل فيه ؟

— ستنزلين بالطبع ضيفة علينا . ولقد أبلغتك ذلك فى حينه . وإن زوجتى لتكاد تجن من السرور . وإنه لتنازل منك عظيم أن تجدى من وقتك الثمين متسعاً يسعد بلدنا الصغير هذا . ولا بد أن أهل هذا البلد مقدرون لك هذا الجميل ، وسيقابلك بما أنت أهل له من الترحيب وحسن التقدير .

فقهقهت السيدة (نافرا) وعلا صوت قهقهتها وهى تقول :

— إنك لثعلب ماكر ، فلقد كان على أن أغنى غداً فى العاصمة ولكنك يوم بادرت بالاتفاق معى لم تعطنى مهلة للتفكير والتشاور مع متعهد حفلاتى . ولقد بلغ به الحنق على أن رغب فى مطالبتى بتعويض مالى

— إنى مستعد لدفع مثل هذه الغرامة من جيبى الخاص

— من سيحمل الحقيبة ؟ .. قالت المغنية ذلك وهى تتلفت فى حيرة « أليس فى مدينتكم حتى ولا حمال ؟ . »

فجس الرجل الحقيبة ، وأحس ثقلها ، وقام يستدعى سائق السيارة وناظر المحطة . وتعاون الجميع فى نقل تلك الحقيبة التى اتخذت طريقها إلى المنزل ، والرجل سعيد بجلوسه إلى جانب من يعجب بفنها ، إلى أن بلغ المصنع فقال لها :

ــ هذا مصنعنا . إنه خاص بصنع قوالب الطوب ولا صلة لهذا طبعاً بفن الموسيقى ، والشقة بعيدة بينهما ، كالفارق بين البيض والعفن والتفاح الجميل .

فضحكت المغنية وقالت :

ــ هذه على الأقل فكاهة لم يسبق لى سماعها .

وما هى إلا فترة وجيزة حتى وقفت السيارة تجاه باب المنزل ، فقفز الرجل وساعد ضيفته على النزول منها ، فخرجت فرحة وقصدت تواً إلى حديقة الدار .

ــ ما أجمل هذا !! إنها أزهار ناضرة !!

ثم مشت على على الحشيش الأخضر قاصدة أزهار القرنفل ، ولقد شغلها منظر تلك الأزاهير عن رؤية صاحبة البيت ، وكانت واقفة فى مدخله ساكنة ، هادئة ، ترمق الضيفة الخطرة بعين التأمل والاستطلاع فابتدرها الرجل بقوله :

ــ هالو ، لقد استحضرنا بلبلتنا .

فكانت من المغنية التفاتة إلى الخلف ، وقد وضعت يديها فى جيوب معطفها الذى تراكم عليه غبار السفر . وأرخت شعرها على كتفيها ، فما أن وقع نظرها على صاحبة البيت حتى قصدتها وشدت على يدها ، فجرت حمرة خد تلك الأخيرة وقد أحست شدة القبضة ، وقالت بصوت ضعيف .

ــ مرحباً بك ، لقد شرفت هذه الدار المتواضعة .

ثم صعدتا إلى الغرفة التى أعدت لها . وقد سألتها صاحبة البيت وهما فى طريقهما عن وصيفتها .

ــ وصيفة ؟ ... ومن أين لى أن أدفع أجر الوصيفة ؟ ...

وكانتا قد بلغتا الغرفة فدخلتاها ، وقد شرح صدر المغنية حسن تنسيقها ، وانسجامها ، وترتيب معداتها . وما كادت تطمئن حتى خلعت معطفها ورمت به على أحد المقاعد ، وباعدت شعرها عن عينيها بيدها وقالت :

ــ ما أجمل هذا المكان !! إنى أتمنى لو استريح هنا بضعة أيام من حياتى المجهدة ، حياة التجوال ..

فتنفست صاحبة الدار الصعداء عندما سمعت قول ضيفتها « حياتى المجهدة ، حياة التجوال » إذ لم يكن فى مقدورها أن تتحمل إقامتها أسبوعاً كاملا مثلا.

« سنأكل بعد ساعة » ... قالت ذلك صاحبة الدار وهى تنصرف من الغرفة ، وقد وجدت زوجها فى الصالون فبادرها بقوله : والآن ما رأيك ؟

فأجابت : يظهر أنها مخلوق طيب لأنها تحب الأزهار ...

ولكن هلا تذهب إلى المصنع يا هاينز ؟

ــ لا أفكر فى هذا مطلقاً ...

وجاء المساء فنزلت المغنية إلى الحديقة برفقة صاحب الدار ، وقد أخذها أنه تعمد عدم دعوة أحد من معارفه حتى يوفر لها أسباب الراحة ، وحتى تكون هادئة مطمئنة . فأجابته السيدة « نافرا » : إنك لتقوم بالذهب !! فأنت أول مضيف صادفته فى حياتى يدرك

ما تحتاج إليه نفس مجهدة مثل نفس الفنانة ..

ولقد خمدت جذوة صاحبة الدار بعد أن أخذت تغير رأيها فى ضيفتها ، فقد رأت من فعالهـــا ماجعلها تعتقد أن الإنسان يجب الا يحكم على الناس قبل معرفتهم ، وإن كانت لا تزال ثابتة على رأيها فيهامن ناحية الفن .

* * *

وكان يوم الحفلة . وبدأت مخاوف أمين صندوق النادي . وخشى أن تنكشف مناورته التى قام بها بشأن البرنامج فلقد استطاع بلباقة أن يخرج هو من هذا الموضوع كلما عرض له . أما اليوم فهو لا يخشى إلا أن تتحدث السيدة « نافرا » مع أحد أعضاء النادى قبل بدء الحفلة فتكون الطامة ، وإذن فلا بد له من الحيطة فى الأمر حتى ينتهى اليوم بسلام . وكان قد أعد العدة لعدم ظهور البرنامج قبل الحفلة فأمر بتأخير طبعه حتى يوم الحفلة نفسه ، وقد أسقط من أعلاه كلمة « برنامج » حتى لا يلتفت أحد من عمال المطبعة إليه .

وبينما كانت رئيسة النادى تسير الهوينا مع ضيفتها فى حديقة المنزل تتأبط كل منهما ذراع الأخرى ، وتتسامران بأعذب الأحاديث ، وإذ بالسيدة « نافرا » تقول لجأة ، وفى شيء من الاضطراب : ويلى لقد كدت أنسى أن أراجع البرنامج !

فارتسمت على وجه صاحبة البيت علامات التعجب وأجابت :

— لقد أرسلناه إليك كتابة

— بالطبع . ولكن كثيراً ما يقع فى البرنامج أخطاء أثناء الطبع . وكثيراً ما تدون فيه أغان مباينة بالمرة للأغانى المطلوبة . إنك لا تستطيعين أن تدركى المآزق الحرجة التى مررت بها فى هذا السبيل

— الذى أعلمه فى هذا الشأن أن حزم البرنامج المطبوع قد أرسلت من منذ ساعة إلى المصنع حيث زوجى الآن ، ونستطيع أن نذهب تواً إلى هناك لمراجعة البرنامج

وتوجهتا معاً إلى المصنع فكان سرور صاحبه عظيما برؤية السيدة « نافرا » ، وكانت مفاجأة سارة ، فابتدرها بقوله : سأريك المصنع

فضحكت المغنية وقالت : العمل أولا، والتفرج ثانياً

ثم وقعت عينها على حزم البرنامج فأسرعت إلى إحداها محاولة فضها والاطلاع عليها . فأسرع الرجل وحال دون ذلك وهو يقول : ماذا تفعلين ؟ هذه عينات من أعمال المصنع سترسل إلى طالبها ! عينات من . . . .

« عينات من الطوب ؟ » . . . تساءلت المغنية فى كثير من السذاجة فأجابها :

— كلا بل هى ألواح حساسة تفقد بالفتح

فأشكل أمر هذه الحزم على المغنية ولم تدر المقصود بقول الرجل ثم قالت :

— ولكن مكتوب مطبعة ... لا حلويات . . . . ومكتوب تحتها بالقلم الرصاص الأزرق كلمة برنامج ..!!

فأجاب الرجل وقد حار فى الأمر : نعم ياسيدتى إننا كثيراً ما نستعمل لحزم العينات ورق لف قديم ولا بد أن نساير الوقت ونقتصد فى المال

كل هذا وزوجته واقفة لا تدرى ماذا أصاب زوجها ثم قالت :

— لماذا (ياهاينز) هذا المزاح السخيف ؟ إنها فى حاجة إلى الاطمئنان على عملها ، لا إلى مثل هذا المزاح القليل الجدوى

ثم هجمت الزوجة على إحدى الرزم . ومزقت

الغلاف واستخرجت إحدى نسخ البرنامج ، وأعطتها للمغنية ، ونسخة أخرى لنفسها .

وبعد برهة خاطبت الزوجة المغنية بصوت ضعيف : إنى أخاف أن يكون قد وقع لك فى بلدنا ما كنت تخشينه ، وما كنا نتحدث عنه الآن قبل دخولنا هذا المصنع إذ يلوح لى أن القوم طبعوا سهواً برنامجاً كله خاطىء .... ولكن ما العمل والوقت متأخر لا يسمح بإدخال أي تغيير ؟

فانتفض الرجل قائماً من مكانه وهو يقول : تغيير !! .. مستحيل .. وإن ذلك غير ممكن ، إذ اليوم يوم الأحد والمطابع جميعها مغلقة

وكانت المغنية تقرأ خلال ذلك البرنامج ، وتراجع أشعار الأغانى المدونة فيه . ثم قالت فى ابتسام وهدوء : كل شيء على ما يرام . . . مضبوط صحيح . . . لا خطأ مطلقاً ...

فقالت رئيسة النادى وقد مطت شفتيها :

— كل شيء على ما يرام !!!! مضبوط صحيح !!! لا خطأ مطلقاً !!

— نعم كل شيء صحيح ! تعالى اقرئى معى .. هاك الأغنية الأولى ، والثانية ، والثالثة ، والأهزوجة البرنديزية .

وكان الرجل جالساً فى مقعده يخفى وجهه بمنديل فى يده . ولم يكد يسمع من المغنية قولها « الأهزوجة البرنديزية » حتى أسرع بالوقوف إلى جانبها يسائلها :

— كيف كان لحن هذه الأهزوجة ؟

فابتدرته زوجه بقولها : إنك مجنون يا « هاينز » !! وإن النادى لن يغتفر لك هذ العمل .

وقد وقفت المغنية حائرة بين الزوجين وهى تقول : إنى لا أفهم ماذا فى الأمر فإن البرنامج على ما يرام !!

فمدت الزوجة إليها ذراعها بحنان الأم ، وقالت لها وهى تصحبها إلى خارج الغرفة : تعالى معى أيتها الطفلة المسكينة فقد غرروا بك .

— ولكننى أرغب فى زيارة المصنع !

— ليس لدى زوجى متسع الآن من الوقت ، تعالى معى لنخرج .

فلم تر المغنية بدأ من متابعة الزوجة ، وقد كانت لهجتها لهجة الآمر . وخرجتا من المصنع ، وقصدتا المنزل حيث استلقت صاحبته فيه على أحد المقاعد .

— إنك لا تستطيعين غناء هذا البرنامج . إنه لا يتفق بحال مع لوائح النادى . والظاهر أن أمين الصندوق أرسل لك عن طريق السهو نفس البرنامج الذى سمعه منك فى الحفلة الماضية .

فتغيرت ملامح المغنية ، واختفت روحها المرحة وقالت :

— إذا كانت بلدتكم هذه ذات ذوق عال ، وجمهوركم فنى ، ونقادكم قساة ، وقد أعجب الجميع برنامجى السابق فلماذا إذن لا يرضى به أيضاً ناديكم !!

فهزت الرئيسة رأسها وقالت :

— إنى أعتقد يا بنيتى أن هذا شيء وذاك شيء آخر . والمهم الآن أننى بصفتى رئيسة النادى أرجوك ، سيما والجمهور لم يطلع بعد على هذا البرنامج ، أن تبادرى بتغييره .

— أنا أقوم بتغييره ؟ .. ذلك ما لا يمكن أن يجول بخاطرى ، فضلا عن أنه ليس لدى الآن غير الموسيقى (النوتة) الخاصة بأغانى هذا البرنامج .

— إن للنادى مكتبة موسيقية كبيرة ، وهو يضعها تحت تصرفك لتختارى ما تحتاجين إليه من الأغانى .

— إنى أغنى من طبقة خاصة تنقل إليها جميع الألحان التى أغنيها .

— سنختار لك من الأغانى ما يتناسب ومنطقة صوتك .

— وإن مصاحبى غير مستعد لأن يقوم بعزف أشياء جديدة . وأنا كذلك غير مستعدة لأن أقوم

الآن قبل الحفلة بزمن قصير بعمل بروفات على أغاني جديدة .

وهكذا جرى الحوار بين السيدتين ، فكانتا كأنهما قطتان تتنازعان . وإذا بصوت يسمع من الخارج عرفت الزوجة أنه صوت زوجها ، وإنه لابد منضم إلى الطرف المضاد لها ، فخففت قليلا من حدتها ، وقامت إلى البيانو حيث كان يوضع عليه بضع أغان من « برامس » وقالت :

- إليك هذه الأغاني . إلا ترينها مناسبة لصوتك ؟

فضربت المغنية الأرض بقدميها وقالت بانفعال :

--- إذا كنت ستستمرين فى مضايقتك لى على هذا النحو فإنى أرفض الغناء بتاتاً فى هذه الحفلة .

فسمع فى خارج الباب تصفيق وصوت يجيب : برافو !! برافو !! أيتها البطلة . إن المسائل الفنية هى الشيء الوحيد الواجب عدم التدخل فيها وإنى بصفة كونى أمـــين صندوق النادى ألزمك أن تقومى بغناء البرنامج السابق إرساله لك .

ولقد أحمر وجه الرئيسة حتى عطفت عليها السيدة « نافرا » ومالت إلى الإشفاق عليها بحكم جنسها ثم قالت :

--- إنك لمذنب فى كل هذا .. لقد كتبت لى برنامجاً لا يرضاه الأعضاء الآخرون . ولو كنت علمت ذلك لما قبلت الحضور إلى هذه المدينة للغناء فيها مرة أخرى إنك كصياد الطيور .

ثم خرجت غاضبة من الغرفة وقد ضربت الباب خلفها بصوت شديد .

« إنها محقة فيما تقول » . . . كذلك قالت الزوجة ، وتبعت المغنية إلى خارج الغرفة وقد خرجت هى الأخرى غاضبة .

--- آه أيتها السيدات !! و بالرغم من كل هذا فستغنى البرنامج الذى رسمته لها ، وستخضعن لفنها حتى تقبلن الأرض فى مساء اليوم عندما تسمعن الأنشودة البرندزية .

ثم أخذ يصفر مما يتذكره من لحنها وخرج مرحاً يسير في الحديقة .

وقبل الحفلة بساعتين وصل مصاحب المغنية الذى يعزف معها بالبيانو ، ونزل بالفندق فى حجرة متواضعة ، فاطمأنت المغنية .

***

لقد بلغ أزدحام الحشد مبلغاً لا عهد للنادى به من قبل ؛ فلم يكن بالصالة مقعد خال . ووقف الكثيرون فى الطرقات حتى تدخل بوليس المطافىء برغم التساهل العظيم الذى أبداه بسبب صداقة مدره لأمين الصندوق جميع السيدات أعضاء مجلس إدارة النادى النسوى مجتمعات فى المقصورة المخصصة لهن إلا الآنسة (زشل) فقد تخلفت عن الحضور حتى لا يفسد مزاجها الفنى مثل هذا البرنامج !!!

أما الرئيسة فكانت فى مركز دقيق يستوجب الرثاء إذ كان يخيل لها أن الجميع يصوبون إليها نظرات اللوم القارسة ، بينما كان أمين الصندوق على النقيض منها ينظر مغتبطاً إلى نجاح فكرته ، وإلى ثمن ألفى تذكرة قد دخل صندوق النادى . ولقد بلغت به الجرأة أن يتكلم بصوت جهورى موجه إلى زملائه أعضاء المجلس فيقول :

وأخيراً استطاع الإنسان أن ينجح فى تحقيق برنامج محترم ، وأن يتحلل من النزعات القديمة

ولقد تحمل السيدات أعضاء المجلس مثل هذا الكلام وإن اعتبرنه إدانة موجهة إليهن وإلى كبريائهن الفنى

***

دخلت المغنية المسرح يتبعها مصاحبها ، فقوبلت بعاصفة شديدة من التصفيق وزوبعة من التهليل

وما أجمل هذا المشهد ... إن مجرد النظر ليزيد على أجر الليلة ، هكذا قال أمين الصندوق ، فقاطعته زوجته بقولها :

ـ ماذا تعنى يا (هاينز) أما كان يجدر بالمغنية أن تظهر أكثر حشمة ، وأن تطيل ثوبها على الأقل مقدار نصف سنتى ؟

فإذا بأخرى من زميلاتها أعضاء المجلس تقول :

ـ إن هذه المغنية عصرية على آخر طراز . . . انظرى إلى زينة رأسها ، لقد كانت تلك الزينة تستعمل فى أمريكا قبل عامين ! !

ـ إن ملابسها لتظهر بادنة أكثر من حقيقتها وليس ذلك فى مصلحتها ، وإن كنا نحمل لها العداوة .

فقالت الرئيسة : وإن تعجبن لشىء فاعجبن لعدم وجود وصيفة لها ، ولقد قامت هى وحدها بعمل كل هذه الزينة ، حتى لقد قامت بنفسها بكى ملابسها

ـ أحقاً ما تقولين ؟ . . هذا محال . . .

فقاطع أمين الصندوق هذا الحديث النسوى بكلمة (سكون) ، صاح بها بصوت مرتفع ، ثم صفق ، فتبعه من فى الصالة ، فكانت تحية موفقة إيذاناً ببدء الحفلة .

بدأت الأنشودة الأولى ، وكان الكل آذاناً مصغية يستمعون كأنما على رءوسهم الطير . ولقد كان الصوت ينساب فى الصالة حلو التغريد ، يملأ جوانب المكان فى سحر نادر . ولم يسع أعضاء مجلس الإدارة إلا أن ينظر بعضهن إلى بعض فى صمت وإعجاب ، وقد غرقن فى بحر من سحر الأنغام . ولم تكد المغنية تأتى على آخر أنشودتها الأولى حتى ضج الجمهور ، وتهلل ، وعم المكان ضجيج وجلبة ، وقام أمين الصندوق يصيح « برافو . برافو » ! . وكانت المغنية تقابل كل هذا بابتسامة حلوة

لقد ساير النجاح الحفلة مطرداً من أنشودة إلى أنشودة ، ومن أغنية إلى أخرى . . .

ولقد انحط كبرياء أعضاء المجلس ، وسحرتهن الموسيق . فنسين حديث الزينة وأمر الملابس وكيها ، ونسين المغنى (سيترر) وتملكهن شعور عميق من التأثر بفن هذه المغنية الناشئة

وختمت الحفلة بأنشودة (برنديزى)

ولقد كاد أمين الصندوق يجن ، ودوى المكان بطلب إعادة هذه الأنشودة ، فكان الأمر ، وأعيدت المعجزة

لقد امتلأت حجرة الفنانة بعد الحفلة بوفود المعجبين . بينما كانت الصالة تدوى بالتصفيق المستمر والاستحسان المنقطع النظير . ولقد تبع الجمهور سيارة الفنانة فى الطرقات حتى المنزل . وما كادت تستقر فيه حتى بدلت ثيابها بثياب السفر ، بعد أن أهدت إلى صاحبة الدار صورتها الفوتوغرافية وقبلة تذكارية .

وتحرك القطار فى الحادية عشرة تشيعه المدينة قاطبة ، والفنانة تعد الجمهور بالعودة إليه ، وتثنى على ذوقه الفنى . ولقد طفحت الصحف بعبارات المدح والثناء توجهها إلى النادى النسوى الذى وفق كل التوفيق إلى اختيار أحسن من يحيى حفلاته ، وإن كان أمين الصندوق قد سجل هذا الثناء لنفسه فقط . وكانت الفنانة حديث الناس جميعاً وسمرهم فيما أزمعوه من إحياء حفلات الموسم القادم . ولقد تعزى الكثيرون عن غياب هذه المغنية بسماع اسطواناتها . وأعيد انتخاب أمين الصندوق . . . ولكن (نافرا) المغنية لم تعد ثانية إلى تلك المدينة ...

ـ فقالت رئيسة النادى : أحسبها ناكرة للجميل !!

فأجابها زوجها : بل قولى إنها غالية ، أو قولى إن حكمكن لم يكن ، بادى الرأى ، عادلا

المطبعة الإجتماعية بشارع مستشفى فؤاد الأول للولادة